(١) حديث نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان(١).

---

(١) انظر : جريدة الرسالة ، العدد ٥١٤ ، ٦ جمادى الأولى ١٣٦٢هـ / ١٠ مايو ١٩٤٣م السنة الحادية عشر ، ص٣٦٥ .
والعدد ٥١٨ ، ٤ جمادى الآخرة ١٣٦٢هـ / ٧ يونيه ١٩٤٣م من نفس السنة ، ص٤٤٥ .
والعدد ٥١٩ ، ١١ جمادى الآخرة ١٣٦٢هـ / ١٤ يونيه ١٩٤٣م من نفس السنة ، ص٤٤٦ .
مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص٢٤٥-٢٤٦ ، والمجلد ٢٨ ، ص٧٥٥،٧٥٦،٧٥٧ .
أضواء على السنة المحمدية ص١٤١ ، السنة النبوية ص١٢٥ .
والحديث سوف يأتى تخريجه والكلام عنه .

(٢) أحاديث الدجال والجساسة(١).

---

(١) انظر : مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص٢٤٦ ، والمجلد ١٩ ، ص٩٩ .
أضواء على السنة المحمدية ص١٤٠،١٤١ ، موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوى ص٣٩ ، السنة النبوية ص١٢٢-١٢٥ .
وحديث الجساسة المشار إليه كما رواه مسلم بسنده إلى فاطمة بنت قيس . وكانت من المهاجرات الأول قالت : ... سمعت نداء المنادى ، منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى : الصلاة جامعة ، فخرجت إلى المسجد ، فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت فى صف النساء التى تلى ظهور القوم ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ، جلس على المنبر وهو يضحك . فقال : "ليلزم كل إنسان مصلاه" . ثم قال : أتدرون لم جمعتكم ؟" قالوا : الله ورسوله أعلم . قال "إنى والله ماجمعتكم لرغبة ولالرهبة . ولكن جمعتكم لأن تميماً الدارى ، كان رجلاً نصرانياً ، فجاء فبايع وأسلم . وحدثنى حديثاً وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال . حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهراً فى البحر ، ثم أرفؤا إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس ، فجلسوا فى أقرب السفينة ، فدخلوا الجزيرة ، فلقيهم دابة أهلب كثير الشعر ، لايدرون ماقبله من دبره من كثرة الشعر ، فقالوا : ويلك ماأنت ؟ فقالت أنا الجساسة . قالوا : ومالجساسة ؟ قالت : أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير . فإنه إلى خبركم بالأشواق . قال : لما سمت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة . قال فانطلقنا سراعاً ، حتى دخلنا الدير ، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً ، وأشده وثاقاً ، مجموعة يداه إلى عنقه ، مابين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد . قلنا : ويلك ماأنت ؟ قال : قد قدرتم على خبرى ، فأخبرونى ماأنتم ؟ قالوا : نحن أناس من العرب ، ركبنا فى سفينة بحرية ، فصادفنا البحر حين اغتلم - هاج - فلعب بنا الموج شهراً ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه ، فجلسنا فى أقربها فدخلنا الجزيرة ، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر ، لايدرى ماقبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا : ويلك ماأنت ؟ فقالت : أنا الجساسة . قلنا : ومالجساسة ؟ قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل فى الدير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق ، فأقبلنا إليك سراعاً ، وفزعنا منها ، ولم نأمن أن تكون شيطانة . فقال : أخبرونى عن نخل بيسان . قلنا عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟ قلنا له : نعم . قال : أما إنه يوشك أن لاتثمر . =

.....

= قال : أخبرونى عن بحيرة الطبرية . قلنا عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها ماء قالوا : هى كثيرة الماء . قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب .
قال : أخبرونى عن عين زغر . قالوا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : هل فى العين ماء ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له : نعم ، هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها .
قال : أخبرونى عن نبى الأميين مافعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثرب .
قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم . قال : كيف صنع بهم ؟فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه . قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم . قال : أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه . وإنى مخبركم عنى . إنى أنا المسيح ، وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج ، فأخرج فأسير فى الأرض فلاأدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة ، غير مكة وطيبة فهما محرمتان على . كلتاهما . كلما أردت أن أدخل واحدة ، أو واحداً منهما ، استقبلنى ملك بيده السيف صلتا . يصدنى عنها ، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها .
قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطعن بمخصرته فى المنبر : "هذه طيبة . هذه طيبة. هذه طيبة" يعنى المدينة "ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟" فقال الناس : نعم . "فإنه أعجبنى حديث تميم أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة. ألا إنه فى بحر الشام أو بحر اليمن . لابل من قبل المشرق ، ماهو . من قبل المشرق ، ماهو . من قبل المشرق ماهو" وأومأ بيده إلى المشرق . قالت : فحفظت هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٥٢) ، باب قصة الجساسة (٢٤) ، حديث رقم ٢٩٤٢ ، ٤/٢٢٦١-٢٢٦٤ .
وانظر أحاديث الدجال فى صحيح البخارى ، كتاب فضائل المدينة (٢٩)، باب لايدخل الدجال المدينة (٩) ، ٢/٢٢٢-٢٢٣ ، كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة فى السماء آمين (٧) ، ٤/٨٤-٨٥ ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ماذكر عن بنى إسرائيل (٥٠) ، ٤/١٤٣ ، كتاب الفتن (٩٢) ، باب ذكر الدجال (٢٦) ، ٨/١٠١-١٠٣ ، باب لايدخل الدجال المدينة (٢٧) ، ١/١٠٣ ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى {ولتصنع على عينى} (١٧) ، ٨/١٧١-١٧٢ ، باب فى المشيئة والإرادة (٣١) ، ٨/١٩٢ .
وفى صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٥٢) ، باب ذكر الدجال وصفته ومامعه (٢٠) ، باب فى صفة الدجال وتحريم المدينة عليه (٢١) ، باب فى الدجال =

.....

= وهو أهون على الله عز وجل (٢٢) ، باب فى خروج الدجال ومكثه فى الأرض (٢٣) ، باب قصة الجساسة (٢٤) ، باب فى بقية من أحاديث الدجال (٢٥) ، ٤/٢٢٤٧-٢٢٦٧ .

قال القاضى عياض :

"هذه الأحاديث التى ذكرها مسلم وغيره فى قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق فى صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدروات الله تعالى من إحياء الميت الذى يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولاغيره ويبطل أمره ويقتله عيسى صلى الله عليه وسلم ويثبت الله الذين آمنوا . هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافاً لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة" . شرح النووى على مسلم ١٨/٥٨ .

(٣) حديث موسى عليه السلام وملك الموت[١].

---

(١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص١٩٨ ، السنة النبوية ص٢٦-٢٩ . والحديث سوف يأتى تخريجه والكلام عنه مفصلاً .

(٤) حديث عدم مس الشيطان لعيسى بن مريم وأمه عليهما السلام[١].

---

(١) انظر : تفسير المنار ٢٩٢/٣ ، مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص١٦٦ ، المجلد ١٩ ، ص٥٣٦،٥٣٧ ، أضواء على السنة المحمدية ص١٤٤،١٤٧،١٤٨ ، السنة النبوية ص٩٧-٩٨ .
والحديث المشار إليه كما رواه البخارى بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "مامن بنى آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها" ، ثم يقول أبو هريرة : "وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم" .
صحيح البخارى ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب قول الله تعالى : {واذكر فى الكتاب مريم} (٤٤) ، ١٣٨/٤ .
وانظر : كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة آل عمران ، باب {وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم} (٢) ، ١٦٦/٥ .
وانظر : صحيح مسلم ، كتاب الفضائل (٤٣) ، باب فضائل عيسى عليه السلام (٤٠) ، حديث رقم ٢٣٦٦ ، ١٨٣٨/٤ .

(٥) حديث سحر النبى صلى الله عليه وسلم(١).

---

(١) انظر : تفسير جزء عم للأستاذ محمد عبده ص١٨١-١٨٣ ، مجلة المنار ، المجلد١٢ ، ص٦٩٧ ، المجلد ٢٩ ، ص١٠٤ ، جريدة المسلمون ، السنة السادسة، العدد ٢٧٦ ، ٢٣-٢٩ شوال ١٤١٠هـ ، ١٨-٢٤ مايو ١٩٩٠م ، ص١١ ، أضواء على السنة المحمدية ص٢٥٩ .

والحديث المشار إليه كما رواه البخارى بسنده إلى عائشة رضى الله عنها قالت : "سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشىء ومافعله حتى إذا كان ذات يوم وهو عندى دعا الله ودعاه ثم قال : "أشعرت ياعائشة أن الله قد أفتانى فيما استفتيته فيه" . قلت : وماذاك يارسول الله ؟ قال "جاءنى رجلان فجلس أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى ثم قال أحدهما لصاحبه : ماوجع الرجل ؟ قال : مطبوب . قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم اليهودى من بنى زريق . قال : فيما ذا ؟ قال : فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر . قال : فأين هو ؟ قال : فى بئر ذى أروان" . قال : فذهب النبى صلى الله عليه وسلم فى أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخل ثم رجع إلى عائشة فقال : "والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين" . قلت يارسول الله أفأخرجته ؟ قال : "لاأما أنا فقد عافانى الله وشفانى وخشيت أن أثور على الناس منه شراً وأمر بها فدفنت" .

صحيح البخارى ، كتاب الطب (٧٦) ، باب السحر (٥٠) ،، ٣٠/٧ .

وفى رواية عنها رضى الله عنها أنها قالت : "مكث النبى صلى الله عليه وسلم كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتى أهله ولايأتى" .

صحيح البخارى ، كتاب الأدب (٧٨) ، باب قول الله تعالى : {إن الله يأمر بالعدل والإحسان} (٥٦) ، ٨٨/٧ .

وانظر الحديث أيضا فى كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب صفة إبليس وجنوده (١١) ٩١/٤ ، كتاب الطب (٧٦) ، باب هل يستخرج السحر (٤٩) ، ٢٩/٧-٣٠ ، كتاب الدعوات (٨٠) ، باب تكرير الدعاء (٥٧) ، ١٦٤/٧ .

صحيح مسلم ، كتاب السلام (٣٩) ، باب السحر (١٧) ، حديث رقم ٢١٨٩ ، ١٧١٩/٤-١٧٢١ .

قال الإمام المازرى رحمه الله :

"مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته ، وأضاف مايقع منه إلى خيالات باطلة لاحقائق لها وقد ذكره الله تعالى فى كتابه وذكر أنه مما يتعلم وذكر مافيه إشارة إلى أنه مما يكفر به ، وأنه يفرق بين المرء وزوجه ، وهذا كله لايمكن فيما لاحقيقة له . =

.....

= وهـذا الحديث أيضـا مصرح بإثبـاته وأنه أشياء دفنت...وهـذا كلـه يبطل ماقالوه فإحالة كونه من الحقائق محال ... وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر فزعم أنه يحط منصب النبوة ويشكـك فيهـا وأن تجويزه يمنـع الثقـة بالشرع وهذا الذى ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمتـه فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك ، وتجويز مـاقام الدليل بخلافه باطل .

فأما مايتعلق ببعض أمور الدنيا التى لم يبعث بسببها ولاكان مفضلا من أجلها وهو مما يعرض للبشر ، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا مالاحقيقة له وقد قيل إنه إنما كـان يتخيل إليه أنه وطء زوجاته وليـس بواطىء ، وقـد يتخيـل الإنسان مثـل هذا فى المنام فلا يبعد تخيلـه فى اليقظة ولاحقيقة له . وقيـل إنه يخيل إليه أنه فعلـه ومـافعله ، ولكـن لايعتقـد صحـة مايتخيله فتكون اعتقـاداته على السـداد" .

قال القاضى عياض :

"وقـد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلـط على جسده وظواهر جوارحه لاعلى عقلـه وقلبه واعتقاده . ويكون معنى قوله فى الحديث : "حتى يظـن أنه يأتى أهله ولايأتيهن" . ويروى : "يخيل إليه" : أى يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن فإذا دنى منهـن أخذته أخذة السحر فلم يأتهـن ولم يتمكن من ذلك كما يعترى المسحور . وكل ماجاء فى الروايات من أنه يخيـل إليه فعل شىء لم يفعلـه ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر لاالخلل تطرق إلى العقـل ، وليس فى ذلك مايدخل لبسا على الرسالة ولاطعنا لأهل الضلالة" .

شـرح النـووى على مسلم ١٤/١٧٤-١٧٥ . وانظـر : كتـاب الشفـا بتعـريف حقـوق المصطفى ٢/١٨٠-١٨٣ ، ط/دار الكتب العلمية .

وللدكتور أحمد ناصر الحمد بحث قيم فى موضوع سحر النبى صلى اللـه عليه وسلم ضمنـه كتـابه "كتاب السحر بين الحقيقـة والخيـال". وقـد أجاب فيـه عـن شبهات المعتزلـة وغيرهـم حول مـوضـوع هـذا الحديث . انظر ص١١٢-١٢٦ مـن الكتـاب المذكور .

(٦) حديث شق صدر النبى صلى الله عليه وسلم وإخراج حظ الشيطان منه(١).

---

(١) انظر : تفسير المنار ٢٩٢/٣ ، مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص١٦٦ ، المجلد ١٩ ، ص٥٣١،٥٣٢،٥٣٦ ، أضواء على السنة المحمدية ص١٤٥-١٤٨ ، السنة النبوية ص٩٨ .
والحديث المشار إليه كما رواه مسلم بسنده إلى أنس بن مالك أنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة . فقال : هذا حظ الشيطان منك . ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده فى مكانه . وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعنى ظئره) فقالوا : إن محمداً قد قتل . فاستقبلوه وهو منتقع اللون . قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره" .
كتاب الإيمان (١) ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم (٧٤) ، ١٤٧/١
وانظر أحاديث شق صدره صلى الله عليه وسلم فى :
صحيح البخارى ، كتاب الصلاة (٨) ، باب كيف فرضت الصلاة (١) ، ٩١/١-٩٣ ، كتاب الحج (٢٥) ، باب ماجاء فى زمزم (٧٦) ، ١٦٧/٢ ، كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم (٦) ، ٧٧/٤-٧٨ ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ذكر إدريس عليه السلام (٥) ، ١٠٦/٤-١٠٨ ، كتاب مناقب الأنصار (٦٣) ، باب المعراج (٤٢) ، ٢٤٨/٤-٢٥٠ ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قوله {وكلم الله موسى تكليماً} (٣٧) ، ٢٠٣/٨-٢٠٥ .
صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم (٧٤) ، ١٤٧/١-١٥١ .

(٧) حديث إسلام شيطان النبى صلى الله عليه وسلم(١).

---

(١) انظر : تفسير المنار ٢٩٢/٣ ، مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص١٦٦ ، أضواء على السنة المحمدية ص١٤٧-١٤٨ ، السنة النبوية ص٩٨ .
والحديث المشار إليه كما رواه مسلم بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مامنكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن" . قالوا : وإياك ؟ يارسول الله قال : "وإياى إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير" .
كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) ، باب تحريش الشيطان (١٦) ، حديث رقم ٢٨١٤ ، ٢١٦٧/٤-٢١٦٨ .
وروى نحوه من حديث عائشة رضى الله عنها برقم ٢٨١٥ ، من نفس الكتاب والباب والجزء ص٢١٦٨ .
قال النووى رحمه الله :
""فأسلم" : برفع الميم وفتحها وهما روايتان مشهورتان ، فمن رفع قال : معناه أسلم أنا من شره وفتنته . ومن فتح قال : إن القرين أسلم من الإسلام ، وصار مؤمناً لايأمرنى إلا بخير . واختلفوا فى الأرجح منهما . فقال الخطابى : الصحيح المختار الرفع . ورجح القاضى عياض الفتح . وهو المختار لقوله صلى الله عليه وسلم : "فلا يأمرنى إلا بخير" .
واختلفوا على رواية الفتح : قيل : أسلم بمعنى استسلم وانقاد . وقد جاء هكذا فى غير صحيح مسلم ، فاستسلم . وقيل : معناه صار مسلماً مؤمناً . وهذا هو الظاهر .
قال القاضى عياض : "واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبى صلى الله عليه وسلم من الشيطان فى جسمه وخاطره ولسانه" .
وفى هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه ، فأعلمنا بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان" .
شرح النووى على مسلم ١٥٨/١٧ .

(٨) حديث المعراج(١).

---

(١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص١٢٣-١٢٤ .
والحديث المشار إليه كما رواه البخارى بسنده إلى أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء ..." الحديث .
وقد ذكر حديث المعراج الطويل . وفيه التقى النبى صلى الله عليه وسلم بالأنبياء ، وفرضت عليه الصلاة ، وبلغ سدرة المنتهى ، وأدخله الله الجنة .
كتاب الصلاة (٨) ، باب كيف فرضت الصلاة(١)، ١/٩١-٩٣ .
وقد سبق ذكر مواضع أحاديث المعراج فى الصحيحين . انظر ص ٦٥٣
قال الطحاوى رحمه الله :
"والمعراج حق ، وقد أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم وعرج بشخصه فى اليقظة إلى السماء ، ثم إلى حيث شاء الله من العلا ، وأكرمه الله بما شاء ، وأوحى إليه ماأوحى ، {ماكذب الفؤاد مارأى} فصلى الله عليه وسلم فى الآخرة والأولى" .
متن العقيدة الطحاوية ص١٠-١١ ، والآية : ١١ من سورة النجم .
وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢٢٣-٢٢٦ .

(٩) حديث وقوع الذباب فى الإناء(١).

---

(١) انظر : مجلة المنار ، المجلد ١٩ ، ص٩٧-٩٩ ، المجلد ٢٩ ، ص٤٨-٥١ ، أضواء على السنة المحمدية ص١٩٩-٢٠١ .
وسوف يأتى تخريج الحديث والكلام عنه مفصلاً .

(١٠) حديث : إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة(١).

---

(١) انظر : السنة النبوية ص١٤٥-١٤٦،١٥٩ .
والحديث المشار إليه كما رواه البخارى بسنده إلى عبد الله - هو ابن مسعود - قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال : "إن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع : برزقه وأجله وشقى أو سعيد ، فوالله إن أحدكم أو الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها" .
كتاب القدر (٨٢) ، باب(١) ، ٢١٠/٧ .
وانظر : كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم (٦) ، ٧٨/٤-٧٩ ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب خلق آدم وذريته (١) ، ١٠٣/٤-١٠٤ ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين} (٢٨) ، ١٨٨/٨
صحيح مسلم ، كتاب القدر (٤٦) ، باب كيفية الخلق الآدمى (١) ، رقم الحديث ٢٦٤٣ ، ٢٠٣٦/٤ .
وروى مسلم بسنده إلى سهل بن سعد الساعدى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، وهو من أهل النار . وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار ، فيما يبدو للناس ، وهو من أهل الجنة" .
كتاب القدر (٤٦) ، باب كيفية الخلق الآدمى (١) ، رقم الحديث ٢٦٥١ ، ٢٠٤٢/٤ وهو جزء من حديث له قصة أورده فى كتاب الإيمان (١)، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (٤٧) ، ورقمه ١١٢ ، ١٠٦/١ .
وانظر : صحيح البخارى ، كتاب الجهاد والسير (٥٦) ، باب لايقول فلان شهيد (٧٧) ، ٢٢٦/٣ ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب الأعمال بالخواتيم (٣٣) ، ١٨٧/٧-١٨٨ ، كتاب القدر (٨٢) ، باب الأعمال بالخواتيم (٥)، ٢١٢/٧-٢١٣ .
والحديث دال على إثبات قدر الله السابق . وقد سبق بيان ذلك مفصلاً .

(١١) حديث : تحاجت الجنة والنار(١).

---

(١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص١٩٨ .
والحديث المشار إليه كما رواه البخارى بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : "تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة مالى لايدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم ؟ قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى ، وقال للنار إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منهما ملؤها . فأما النار فلاتمتلىء حتى يضع رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلىء ويزوى بعضها إلى بعض ولايظلم الله عز وجل من خلقه أحداً . وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشىء لها خلقاً" .
كتاب التفسير (٦٥) ، سورة ق (٥٠) ، باب قوله : {وتقول هل من مزيد} (١)، ٤٨/٦ .
وانظر : كتاب التوحيد (٩٧) ، باب ماجاء فى قول الله تعالى : {إن رحمة الله قريب من المحسنين} (٢٥) ، ١٨٦/٨ .
صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٥١) ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء(١٣) ، حديث رقم ٢٨٤٦، ٢٨٤٧ ، ٢١٨٦/٤-٢١٨٧ .
هذا حديث على ظاهره ، وأن الله تعالى جعل فى الجنة والنار تميزاً تدركان به .
انظر : شرح النووى على مسلم ١٨١/١٧ .
أى أن المحاجاة بينهم بلسان المقال لالسان الحال ، وماتقولاه حقيقة ، وأن الله جعل لهما شعوراً ، وتمييزاً ، وعقلاً ، ونطقاً ، والله لايعجزه شىء . وذلك كتسبيح المخلوقات فى قوله تعالى : {تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً} .
سورة الإسراء : آية ٤٤ .
انظر : شرح كتاب التوحيد ص١٩٠، ١٩١ .
والحديث من أحاديث الصفات لأن فيه إثبات صفة الرجل لله تعالى كما يليق به من غير تحريف ولاتعطيل ومن غير تكييف ولاتمثيل .

هـذه بعض الأحاديث الصحيحـة الثابتة عن النبى صلى اللـه عليه وسلم والتى ردهـا أولئـك القـوم بعقـولهم وطعنـوا فيها بحجـة إنهـا أحاديث آحاد مفادها الظن فلاتبنى على مثلها العقائد الثابتة .

ولكـى يتضـح لنا منهج هذه المدرسـة فى معاملتها للنصـوص الثـابتة ، وإقحـامها عقولها القاصرة عن فهم النصوص الثابتة ، وجعلهـا حكماً عليها ، وسيرهـم على نهـج أهـل الاعتزال فى رد أحاديث الآحاد الصحيحـة . أمثـل بثلاثة أحاديث ممـا سبـق ، مـع إيراد شبههـم حولهـا ودحض تلـك الشبـه وكشفها ، لتكون نماذج لبقية ماذكر من أحاديث .

الحديث الأول :
حديث نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان .

قال الشيخ المراغى :

"هذه الأحاديث ـ أى أحاديث نزول عيسى ـ لم تبلغ درجة الأحاديث المتواترة التى توجب على المسلم عقيدة ، والعقيدة لاتجب إلا بنص من القرآن أو بحديث متواتر" .

ثم قال : "وعلى ذلك فلايجب على المسلم أن يعتقد أن عيسى عليه السلام حى بجسمه وروحه ، والذى يخالف فى ذلك لايعد كافراً فى نظر الشريعة الإسلامية"(١).

وذكر الأستاذ محمد عبده للحديث تخريجين ، فقال :

"أحدهما : أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادى لأنه من أمور الغيب والأمور الاعتقادية لايؤخذ فيها إلا بالقطع لأن المطلوب فيها هو اليقين وليس فى الباب حديث متواتر .

وثانيهما : تأويل نزوله وحكمه فى الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس وهو ماغلب فى تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمتها وماشرعت لأجله ، فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديدة ولكنه جاءهم بما يزحزحهم عن الجمود على ظواهر ألفاظ شريعة موسى عليه السلام ويوقفهم على فقهها والمراد منها ويأمرهم بمراعاته وبما يجذبهم إلى عالم الأرواح بتحرى كمال الآداب ، أى ولما كان أصحاب الشريعة الأخيرة قد جمدوا على ظواهر ألفاظها بل وألفاظ من كتب فيها معبراً عن رأيه وفهمه وكان ذلك مزهقاً لروحها ذاهباً بحكمتها كان لابد لهم من إصلاح عيسوى يبين لهم أسرار الشريعة وروح الدين وأدبه الحقيقى وكل ذلك مطوى فى القرآن الذى حجبوا عنه بالتقليد الذى هو آفة الحق وعدو الدين فى كل زمان .

---

(١) مجلة الرسالة ، العدد ٥١٩ ، ١١ جمادى الآخرة ١٣٦٢هـ / ١٤ يونيو ١٩٤٣م ، السنة الحادية عشرة ، ص٤٦٦ .

فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزمان الذى يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الإسلامية لإصلاح السرائر من غير تقييد بالرسوم والظواهر"(١).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا :

" ليس فى القرآن نص صريح فى أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء حيا حياة دنيوية بهما بحيث يحتاج بحسب سنن الله تعالى إلى غذاء .. وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء وإنما هذه عقيدة أكثر النصارى ، وقد حاولوا فى كل زمان منذ ظهر الإسلام إلى الآن بثها فى المسلمين وممن حاولوا ذلك بادخالها فى التفسير وهب بن منبه ، الركن الثانى بعد كعب الأحبار(٢) لتشويه تفسير القرآن بما بثه فيه من الخرافات ... والأحاديث الواردة فى نزوله عليه السلام كثيرة فى الصحيحين والسنن وغيرها ، وأكثرها واردة فى أشراط الساعة وممزوجة بأحاديث الدجال . وفى تلك الأشراط ولاسيما أحاديث الدجال والمهدى اضطراب واختلاف وتعارض كثير " .

ثم قال :

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٠، ص ٢٤٥- ٢٤٦ .

(٢) وكعب الأحبار : هو ابن ماتع الحميرى ، أبو إسحاق ، المعروف بكعب الأحبار ، ثقة مخضرم ، كان من أهل اليمن فسكن الشام .
قال الذهبى فى الكاشف : " أسلم زمن الصديق وسمع عمر ، سكن الشام وعنه أبو هريرة وابن المسيب ، مات أيام عثمان " . وقال فى السير : " وكان حسن الإسلام ، متين الديانة ، من نبلاء العلماء " .
انظر : الجرح والتعديل ١٦١/٧، الكاشف ٩/٣، سير أعلام النبلاء ٤٨٩/٣-٤٩٤، تقريب التهذيب ١٣٥/٢ .

"والخلاصة إنه لايجب على مسلم أن يقف على تلك الأحاديث وأمثالها لأنها ليست من أركان الإيمان ولامن أركان الإسلام ... ولايضره فى إيمانه وإسلامه الاشتباه فى صحتها وعدم القطع بروايتها ودلالتها على ماقال الجمهور"(١).

وقال الشيخ محمود شلتوت :

"إن حياة عيسى ورفعه بجسمه إلى السماء ونزوله منها إلى الأرض آخر الزمان لم يثبت شيء منها بدليل قطعى يكون عقيدة يطمئن إليها القلب حتى يكفر من أنكرها"(٢).

وقال :

"ولعل أحقر مارأينا من أسباب الإسراف فى وصف الأحاديث بالتواتر أن قوماً من المرتزقة باسم الدين وباسم الغيرة على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم استباحوا لأنفسهم فى سبيل أغراضهم الدنيا أن يصطنعوا كل أساليب التلبيس والتمويه فى شأن أحاديث عيسى التى لايمكن أن يكون منها متواتر حتى على أوسع الآراء فى تحققه ، وهى مع آحاديتها يكثر ويشتد فى معظمها ضعف الرواة واضطراب المتون ونكارة المعانى ... وهكذا يخلعون عليها ثوباً مهلهلاً من القداسة لارغبة فى علم ولاغيرة على حق ، ولكن مكابرة وعناداً ، وإصراراً على التضليل ، وليقال على ألسنة العامة وأشباه العامة إنهم حفاظ وإنهم محدثون ... إن تلك الأحاديث كيفما كانت ليست من قبيل المحكم الذى لايحتمل التأويل حتى تكون قطعية الدلالة ، فقد تناولتها أفهام العلماء قديماً وحديثاً ولم يجدوا مانعاً من تأويلها"(٣).

● لقد دلت الآيات على أن عيسى عليه السلام رفع من الأرض إلى السماء كقوله تعالى : {بل رفعه الله إليه}(٤)وأن اليهود عليهم لعائن الله لم

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ٢٨ ، ص٧٥٥،٧٥٦،٧٥٧ .

(٢) مجلة الرسالة ، العدد ٥١٤ ، ٦ جمادى الأولى ١٣٦٢هـ / ١٠ مايو ١٩٤٣م ، السنة الحادية عشرة ص٣٦٥ .

(٣) مجلة الرسالة ، العدد ٥١٨ ، ٤ جمادى الآخرة ١٣٦٢هـ / ٧ يونيو ١٩٤٣م ، السنة الحادية عشرة ، ص٤٤٥ .

(٤) سورة النساء : آية ١٥٨

يتمكنوا من قتله ولاصلبه كما اعتقد ذلك النصارى ، وأنه رفع عليه السلام بروحه وجسده وأنه حى عند الله تعالى ، وذلك مقتضى الأدلة ، وسوف ينزل بمشيئة الله عز وجل فى آخر الزمان ، دلالة وعلامة على قرب قيام الساعة كما قال سبحانه : {وإنه لعلم للساعة فلاتمرن بها}(١).فينزل حاكماً بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم لاناسخاً لها ، فلاينزل برسالة مستقلة ، وإنما حاكم من حكام هذه الأمة(٢)فيكسر الصليب إبطالاً لما يزعمه النصارى من تعظيمه ، ويضع الجزية فلايقبل من الكفار إلا الإسلام ، ويفيض المال ويكثر وتنزل البركات والخيرات بسبب العدل وعدم التظالم(٣).

روى البخارى(٤)ومسلم(٥)من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم صلى الله عليه وسلم حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لايقبله أحد" .

ويمكن أن نجمل ماأثاره المُحْدَثُون من شبه حول نزوله عليه السلام فى النقاط التالية :

(١) ليس فى القرآن نص صريح فى رفعه إلى السماء بروحه وجسده ليحيا حياة دنيوية يحتاج معها إلى غذاء .

(٢) ليس فيه نص صريح على نزوله وإنما تلك عقيدة النصارى .

---

(١) سورة الزخرف : آية ٦١

(٢) انظر : تأويل مختلف الحديث ص١٨٨ ، شرح النووى على مسلم ١٩٠/٢ ، فتح البارى ٤٩١/٦ .

(٣) انظر : شرح النووى على مسلم ١٩٠/٢،١٩١ .

(٤) انظر : كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام(٤٩) ، ١٤٣/٤ .

(٥) كتاب الإيمان (١) ، باب نزول عيسى بن مريم (٧١) ، حديث رقم ١٥٥ ، ١٣٥/١

(٣) أحاديثه لم تبلغ درجة التواتر حتى يؤخذ منهاعقيدة بنزوله، بل هى أحاديث آحاد مضطربة فى متونها ، منكرة فى معانيها ، فى معظمها يشتد ضعف الرواة ، وليست بمحكمة الدلالة ولذا أولها العلماء قديماً وحديثاً .

(٤) لايجب على المسلم أن يعتقد أنه حى بروحه وجسده ومن خالف لايعد كافراً .

ويجاب على ذلك :

(١) لقد جاءت آيات فى كتاب الله عز وجل تدل على رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ، وقد بين العلماء أنه رفع بروحه وجسده .

الآية الأولى :

قوله تعالى : {إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى}(١).

وقد لخص الشيخ محمد خليل هراس آراء المفسرين فى بيان معنى هذه الآية فقال :

"١ ـ رأى الجمهور الذى اختاره ابن كثير ورواه عن الحسن وهو الرأى الذى يفسر التوفى بالإنامة .

٢ ـ رأى قتادة وهو أن فى الكلام تقديماً وتأخيراً والتقدير "إنى رافعك ومتوفيك" أى بعد النزول .

٣ ـ رأى ابن جرير فى أن المراد بالتوفى هو نفس الرفع . والمعنى أنى قابضك من الأرض ومستوفيك ببدنك وروحك . وينسب هذا التفسير إلى ابن زيد(٢).

---

(١) سورة آل عمران : آية ٥٥

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن زيد ، شهاب الدين ، أبو العباس . فاضل دمشقى ، من علماء الحنابلة ، عارفاً بالفقه والعربية . مات سنة ٨٧٠هـ .
من آثاره : "محاسن المساعى فى مناقب أبى عمر الأوزاعى" ، "تحفة السارى إلى زيارة تميم الدارى" ، "ديوان خطب" ، "اختصار سيرة ابن هشام" وغير ذلك .
الضوء اللامع ٢/٧١-٧٢ ، الأعلام ١/٢٣٠ .

وهو الذى حكاه ابن كثير عن مطر الوراق (١) .

وهذه الأقوال الثلاثة متفقة على أنه رفع حياً وإن كان بعضها أصح وأولى بالقبول من بعض ، فأصحها الأول وهو قول الجمهور ، ويليه قول قتادة ، ويليه قول ابن جرير " (٢) .

وكلمة " الوفاة " كما تطلق على الموت تطلق على النوم أيضاً ، لأن معناها فى اللغة من استيفاء الحق وافياً أى كاملاً لانقص فيه . ولذا قال صاحب القاموس :

" أوفى فلاناً حقه : أعطاه وافياً ، كوفاه ووافاه فاستوفاه وتوفاه " (٣) .

وقد جاءت فى القرآن الكريم بمعنى النوم فى قوله تعالى : (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار) (٤) .

كما جاءت على المعنيين فى قوله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (٥) .

فالمراد بالوفاة فى الآية النوم وليس الموت .

---

(١) هو مطر بن طهمان الوراق ، أبو رجاء ، السلمى مولاهم ، الخراسانى ، سكن البصرة ، صدوق كثير الخطأ ، وحديثه عن عطاء ضعيف . روى عن شهر والحسن، وعنه الحمادان وهمام . مات سنة ١٢٥هـ ، ويقال ١٢٩هـ .، انظر : الجرح والتعديل ٨/٢٨٧، الكاشف ٣/١٤٩، تقريب التهذيب ٢/٢٥٢ .
(٢) مشكلات الأحاديث ص ١٦٧ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ١/٣٦٦ .
(٣) القاموس المحيط ص ١٧٣١ .
(٤) سورة الأنعام : آية ٦٠ .
(٥) سورة الزمر : آية ٤٢ .

وانظر : تفسير القرآن العظيم ١/٣٦٦، مشكلات الأحاديث ص ١٧٥ .

قال ابن كثير رحمه الله :

"فأخبر تعالى أنه رفعه - أى عيسى عليه السلام - بعدما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة فى ذلك الزمان"(١).

الآية الثانية :

قوله تعالى : {وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، مالهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقيناً،بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً}(٢).

قال الهراس رحمه الله :

"فالآية صريحة فى أنه رفعه حياً لأنه ذكر الرفع وأثبته مكان الذى نفاه من القتل والصلب . ولو كان عيسى عليه السلام قد مات فى الأرض ودفن وأن المراد بالرفع رفع روحه أو منزلته كما يزعم المنكرون لما حسن ذكر الرفع فى مقابل نفى القتل والصلب ، لأن الذى يناسب نفى القتل والصلب عنه هو رفعه حياً لاموته ، وإلا لقال وماقتلوه وماصلبوه بل الله هو الذى أماته .

وكيف يتوهم متوهم أن المراد بقوله تعالى {بل رفعه الله إليه} هو رفع روحه ، وهو إنما ذكر لإبطال مازعموه من قتله وصلبه ، ورفع الروح لايبطل القتل والصلب بل يجامعهما ، فإنهم لو قتلوه فرضاً لرفعت روحه إلى الله ، على أن فى إخباره عز وجل بأنه رفعه إليه مايشعر باختصاصه بذلك ، والذى يمكن أن يختص به عيسى هو رفعه حياً بجسده وروحه ، لأن أرواح جميع الأنبياء بل المؤمنين ترفع إلى الله بعد الموت لافرق بين عيسى وغيره فلاتظهر فيه الخصوصية"(٣).

---

(١) البداية والنهاية ٩١/٢ .

(٢) سورة النساء : آية ١٥٧،١٥٨

(٣) مشكلات الأحاديث ص١٦٧،١٦٨ .

وحياته عليه السلام ليست كحياة من على الأرض يحتاج إلى الطعام والشراب ويخضع للسنن والنواميس الكونية كسائر الأحياء ، وإنما حياته حياة خاصة عند الله عز وجل لايشعر بالضرورات الجسدية من طعام أو شراب أو نحوهما(١).

(٢) وقد جاءت آيات أيضاً تدل على نزوله إلى الأرض فى آخر الزمان . من ذلك :

(أ) قال تعالى :

{ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين}(٢)

وقوله تعالى : {تكلم الناس فى المهد وكهلاً}(٣).

نقل الشيخ الهراس عن ابن جرير:أن عيسى عليه السلام كلم الناس فى المهد وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل(٤). ثم قال :

"وهذا الذى نقلناه عن ابن جرير هو قول عامة أهل التفسير كلهم يفسرون الآية به ويجعلونها دليلاً على نزول عيسى عليه السلام . وهذا هو الحق الذى لامرية فيه ، فإن قوله سبحانه (وكهلاً) معطوف على متعلق الظرف قبله داخل معه فى حكمه ، والتقدير : ويكلم الناس طفلاً فى المهد ويكلمهم كهلاً ، فإذا كان كلامه فى حال الطفولة عقب الولادة مباشرة آية فلابد أن المعطوف عليه وهو كلامه فى حال الكهولة كذلك ، وإلا لم يحتج إلى التنصيص عليه لأن الكلام من الكهل أمر مألوف معتاد فلايحسن الإخبار به لاسيما فى مقام البشارة، بل لابد أن يكون المراد بهذا الخبر أن كلامه كهلاً سيكون آية ككلامه طفلاً ، بمعنى أنه سيرفع إلى السماء قبل أن يكتهل ثم ينزل فيبقى فى الأرض إلى أن يكتهل ويكلم الناس كهلاً ، وقد ذهب جمهور المحدثين والمؤرخين إلى أنه عليه السلام رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وأنه سيمكث فى الأرض إذا نزل أربعين سنة كما جاء فى الحديث

---

(١) مشكلات الأحاديث ص١٨١،١٨٢ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٤٦

(٣) سورة المائدة : آية ١١٠

(٤) جامع البيان ٣/٢٧٣ .

الصحيح"(١).

(ب) قال الله تعالى :

{وإنه لعلم للساعة فلاتمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم}(٢).

الصحيح أن الضمير فى قوله "وإنه" يعود على عيسى عليه السلام ، أى أن خروجه من أعلام الساعة وأماراتها لأنه ينزل قبيل قيامها(٣).

والذى يدل على ذلك أن سياق الآيات فى ذكره ، وصرف الكلام عما هو فى سياقه إلى غيره بغير حجة غير جائز ، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى (وإنه لَعَلَمٌ للساعة) أى أمارة ودليل على وقوع الساعة(٤).

---

(١) مشكلات الأحاديث ص١٧٠ .

والحديث المشار إليه رواه أبو داود بسنده إلى أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "ليس بينى وبينه نبى - يعنى عيسى - وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ، بين ممصرتين ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيقاتل الناس على الإسلام ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك المسيح الدجال فيمكث فى الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون" .

كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال ، برقم ٤٣٢٤ ، ٤/١١٧-١١٨ .

وأخرج أحمد فى المسند نحوه بزيادة يسيرة . ٢/٤٠٦، ٤٣٧ ولم يذكر عدد السنين .

وأخرج الحاكم فى المستدرك نحوه بزيادة يسيرة ، وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبى ٢/٥٩٥ .

وأخرج ابن حبان نحوه وفيه الزيادة السابقة ، فى كتاب التاريخ (٦٠) ، باب إخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون فى أمته من الفتن (١٠) ، ذكر البيان بأن عيسى ابن مريم إذا نزل يقاتل الناس على الإسلام ، برقم ٦٨٢١ ، ١٥/٢٣٣-٢٣٤ الإحسان .

وأخرج نحوه عبد الرزاق فى مصنفه ، وليس فيه ذكر "الأربعين سنة" ، باب نزول عيسى ابن مريم ، ورقمه ٢٠٨٤٥ ، ١١/٤٠١-٤٠٢ .

وذكر الحافظ ابن حجر فى الفتح ٦/٤٩٣ ، والشيخ ناصر الدين الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/٢١٤، أن إسناده صحيح . وزاد الثانى : "أنه على شرط مسلم".

وقال فى صحيح سنن أبى داود ٣/٨١٦ : "صحيح" .

(٢) سورة الزخرف : آية ٦١

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٠٥ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/١٣٢ .

(ج) قال تعالى :

{وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً}(١).

قوله : "قبل موته" :

ذكر العلماء فيها وجهين فى عود الضمير :

الأول : قبل موت عيسى عليه السلام .

الثانى : قبل موت الكتابى .

قال ابن جرير :

"وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال : تأويل ذلك : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى"(٢).

وقال ابن كثير :

"ولاشك أن هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآية فى تقرير بطلان ماادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة لذلك فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لايتبينون ذلك ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حى وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة ... فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية يعنى لايقبلها من أحد من أهل الأديان بل لايقبل إلا الإسلام أو السيف فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولايتخلف عن التصديق به واحد منهم"(٣).

قال عبد الله الغمارى :

---

(١) سورة النساء : آية ١٥٩

(٢) جامع البيان ٦/٢١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/٥٧٧ .

وانظر : البداية والنهاية ٢/٩٢ ، مسند الإمام أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٥/٢٧،٢٨ فى الهامش ، مشكلات الأحاديث ص١٧٠،١٧١ .

"إن احتمال عود الضمير فى (موته) على الكتابى ضعيف واحتمال عوده فى (به) على غير عيسى باطل ، والاحتمالات الضعيفة والباطلة لاتنهض للحجية ولاتقوى للاستمساك ، فتكون الآية الكريمة نصاً فى حياة عيسى ونزوله بمعونة ماذكر . واللفظ يكون نصاً بنفسه تارة وبما ينضم إليه من القرائن تارة أخرى ، وليس كل احتمال فى اللفظ يؤثر فى نصيته كما يتوهم كثير ممن لم يحكموا قواعد علم الأصول"(١).

وقد روى الإمام أحمد بسنده من حديث أبى هريرة مايؤيد هذا التفسير . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"ينزل عيسى بن مريم ، فيقتل الخنزير ، ويمحو الصليب ، وتجمع له الصلاة ، ويعطى المال حتى لايقبل ، ويضع الخراج ، وينزل الروحاء(٢)، فيحج منها أو يعتمر ، أو يجمعهما ، قال ـ القائل حنظلة(٣)ـ : وتلا أبو هريرة {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً} . فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال : يؤمن به قبل موته : عيسى فلاأدرى . هذا كله حديث النبى صلى الله عليه وسلم أو شىء قاله أبو هريرة ؟"(٤).

(٣) وأما أحاديث نزوله عليه السلام فقد نص العلماء على تواترها(٥).

---

(١) مشكلات الأحاديث ص١٦٩ .

(٢) الروحاء : قرية جامعة على بعد أحد وأربعين ميلاً من المدينة .
معجم مااستعجم من أسماء البلاد والمواضع ٦٨١/١ ، وانظر : معجم البلدان ٧٦/٣ .

(٣) هو حنظلة بن على الأسقع الأسلمى المدنى . روى عن أبى هريرة وخفاف، وعنه الزهرى وأبو الزناد . ثقة .
انظر : الكاشف ٢٦١/١ ، تهذيب التهذيب ٦٢/٣ ، تقريب التهذيب ٢٠٦/١ .

(٤) مسند أحمد ٢٩٠/٢-٢٩١ .
قال أحمد محمد شاكر : "إسناده صحيح" .
مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ٢٧/١٥ فى الهامش .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم ٥٨٢،٥٧٧/١ ، زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ٣٣١،٣٣٠/١ ، مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ٢٥٧/١٢ الهامش ، ٢٨/١٥ الهامش .

قال ابن كثير رحمه الله بعد ذكره الأحاديث الدالة على نزوله . قال :

"فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية أبى هريرة وابن مسعود وعثمان بن أبى العاص وأبى أمامة والنواس بن سمعان وعبد الله بن عمرو بن العاص ومجمع بن حارثة وأبى شريحة وحذيفة بن أسيد رضى الله عنهم ، وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه من أنه بالشام بل بدمشق عند المنارة الشرقية وأن ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح ... وهذا إخبار من النبى صلى الله عليه وسلم بذلك وتقرير وتشريع وتسويغ له على ذلك فى ذلك الزمان"(١).

وقال عبد الله الغمارى بعد أن استوعب كل ماورد من أحاديث وآثار ، وذكرها بطرقها وأسانيدها :

"فهذه ستون حديثاً يرويها عن النبى صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرون صحابياً وثلاثة تابعين بألفاظ مختلفة وأسانيد متعددة كلها تصرح بنزول عيسى عليه السلام تصريحاً لايحتمل تأويلاً ولاروغاناً"(٢).

فأحاديث نزوله عليه السلام ثابتة بالتواتر المعنوى ، ولو كانت آحاداً لوجب علينا التسليم لها والإيمان بمضمونها متى ثبتت صحتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن دلت على عقيدة خلافاً لمن أبى ذلك .

وأما زعم شلتوت بأنها أحاديث مضطربة فى متونها منكرة فى معانيها ، أجاب عن ذلك عبد الله الغمارى فى رده عليه فقال :

"وهذا غير صحيح فإن تلك الأحاديث أو الروايات - على حد تعبيره- كلها متفقة على الإخبار بنزول عيسى وأنه يقتل الدجال والخنزير ، ويكسر الصليب ...الخ ماجاء فيها ، غاية مافى الأمر أن بعضاً منها يفصل ، وآخر يجمل ، وبعضاً يوجز وآخر يطنب ، وهذا كما يفعل القرآن العظيم إذ يورد القصة الواحدة فى سور متعددة بأساليب مختلفة يزيد بعضها على بعض بحيث لايمكن جمع أطراف القصة إلا بقراءة السور التى ذكرت فيها ، فلعل صاحب

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٥٨٢-٥٨٣ .

(٢) مشكلات الأحاديث ص١٧٧-١٧٨ .

الفتوى ظن مثل هذا التخالف الذى يقوى شأن الحديث ويدل على تعدد مخارجه تعارضاً فأخطأ ، وأضعف خطأه حيث ادعى أنه لامجال معه للجمع بينها . وذلك أنه على فرض وجود تعارض فالجمع ممكن لو أمعن فكره وأمضى نظره وأخلص فى بحثه ، لكنه أرسل قوله بتعذر الجمع دعوى تتعثر فى أذيال الخجل "(١).

والزعم بأنها ليست محكمة الدلالة ولذا أولها العلماء قديماً وحديثاً ، زعم لاأساس له من الصحة .

ودعوة باطلة، ليس لها مايسندها ، كيف وقد نصت الأحاديث صراحة على نزوله عليه السلام ، ولم يأت مايعارض ذلك تصريحاً أو تلميحاً ، وأجمعت الأمة على مادلت عليه .

وتأويل من أولها إنما هو تحريف وتبديل ورد للنصوص الثابتة الصريحة ولاحجة فى قوله .

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر :

"وقد لعب المجددون ، أو المجردون فى عصرنا الذى نحيا فيه ، بهذه الأحاديث الدالة صراحة على نزول عيسى ابن مريم عليه السلام فى آخر الزمان ، قبل انقضاء الحياة الدنيا بالتأويل المنطوى على الإنكار تارة ، وبالإنكار الصريح أخرى ! ذلك أنهم - فى حقيقة أمرهم - لايؤمنون بالغيب أو لايكادون يؤمنون . وهى أحاديث متواترة المعنى فى مجموعها ، يعلم مضمون مافيها من الدين بالضرورة ، فلايجديهم الإنكار ولاالتأويل "(٢).

(٤) لاشك أن النصوص من القرآن والسنة دلت على رفعه إلى السماء وأنه حى بروحه وجسده وأنه سينزل فى آخر الزمان ، وانعقد الإجماع على ذلك فوجب على كل مسلم أن يؤمن بما دلت عليه تلك النصوص وأن يجمع قلبه على إعتقاد ماجاء فيها ، ومن المعلوم أن إنكار ماثبت من الدين بالضرورة يعد كفراً .

---

(١) مشكلات الأحاديث ص١٧٨ .

(٢) مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ٢٥٧/١٢ الهامش .

قال الشيخ الشنقيطى :

"يجب شرعاً إعتقاد أن عيسى عليه الصلاة والسلام لازال حياً إلى الآن وأنه لابد أن ينزل فى آخر الزمان حاكماً بشرع نبينا عليه الصلاة والسلام ومجاهداً فى سبيل الله تعالى كما تواتر عن الصادق المصدوق ، وإنما وجب اعتقاد ذلك لأن الله تعالى أخبر فى كتابه العزيز ... {وماقتلوه يقيناً.بل رفعه الله إليه}(١). وقد وردت الأحاديث المتواترة كما سبق ... ولم يصح حديث بموته تمكن معارضته لما صح بالتواتر من نزوله فى آخر الزمان ، وإذا أخبر القرآن أنه رفع ولم يقتل وبين النبى صلى الله عليه وسلم لنا أنه سينزل فى آخر الزمان وفصل لنا أحواله بعد نزوله تفصيلاً رافعاً لكل احتمال ، وجب اعتقاد ذلك على كل مسلم ، ومن شك فيه فيكون كافراً بإجماع الأمة ، لأنه مما علم من الدين ضرورة بلانزاع ، وكل إيراد عليه من الملاحدة والجهلة باطل لاينبغى لكل من اتصف بالعلم أن يلتفت إليه"(٢)

وقال عبد الله الغمارى فى رده على شلتوت :

"وبعد فإنى أرى أن كل من يمارى فى هذا الأمر بعد هذا البيان فإنه مبتدع ضال إن لم يكن كافراً والعياذ بالله ، فالواجب أن يهجر ويجتنب ، وليست المسألة مسألة خلاف يعذر فيها المخالف ، بل هى مسألة إجماع أجمعت عليه الأمة وتواترت به النصوص ، كما أنها من جنس الأخبار التى لامجال فيها للرأى والاجتهاد"(٣).

---

(١) سورةالنساء : آية ١٥٧،١٥٨

(٢) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ٣٣١/١-٣٣٢ .

(٣) مشكلات الأحاديث ص١٨٢ .

الحديث الثانى :

حديث موسى عليه السلام وملك الموت .

عد محمود أبو رية حديث موسى وملك الموت من الأحاديث المشكلة ، وزعم أن رائحة الإسرائيلية تفوح منه(١).

وقال الشيخ محمد الغزالى :

"وقد وقع لى وأنا بالجزائر أن طالباً سألنى : أصحيح أن موسى عليه السلام فقأ عين ملك الموت عندما جاء لقبض روحه ، بعدمااستوفى أجله ؟ فقلت للطالب وأنا ضائق الصدر : وماذا يفيدك هذا الحديث ؟ إنه لايتصل بعقيدة ، ولايرتبط به عمل ! والأمة الإسلامية اليوم تدور عليها الرحى(٢)، وخصومها طامعون فى إخماد أنفاسها ! اشتغل بما هو أجدى !

قال الطالب : أحببت أن أعرف هل الحديث صحيح أم لا ؟

فقلت له متبرماً : الحديث مروى عن أبى هريرة ، وقد جادل البعض فى صحته .

وعدت لنفسى أفكر : إن الحديث صحيح السند ، لكن متنه يثير الريبة . إذ يفيد أن موسى يكره الموت ، ولايحب لقاء الله بعدما انتهى أجله ، وهذا المعنى مرفوض بالنسبة إلى الصالحين من عباد الله كما جاء فى الحديث الآخر "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه"(٣). فكيف بأنبياء الله؟ وكيف بواحد من أولى العزم ؟ إن كراهيته للموت بعد ماجاء ملكه أمر مستغرب ! ثم هل الملائكة تعرض لهم العاهات التى تعرض للبشر من عمى أو عور ؟ ذاك بعيد .

---

(١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص١٩٨ .

(٢) الرحى : وتكتب بالمد . قال ابن الأثير : "يقال دارت رحا الحرب إذا قامت على ساقها . وأصل الرحا التى يطحن بها" .
النهاية فى غريب الحديث ٢/٢١١ . وانظر القاموس المحيط ص١٦٦٠ .

(٣) سوف يأتى تخريج الحديث والكلام عنه .

قلت : لعل متن الحديث معلول ، وأياً ماكان الأمر فليس لدى مايدفعنى إلى إطالة الفكر فيه .

فلما رجعت إلى الحديث فى أحد مصادره ساءنى أن الشارح جعل رد الحديث إلحاداً ! وشرع يفند الشبهات الموجهة إليه فلم يزدها إلاقوة"(١).

ثم ذكر قول المازرى(٢)رحمه الله فى بيان الحديث وتوجيهه ثم قال:

"نحن نقول : هذا الدفاع كله خفيف الوزن ، وهو دفاع تافه لايساغ، ومن وصم منكر الحديث بالإلحاد فهو يستطيل فى أعراض المسلمين . والحق : أن فى متنه علة(٣)قادحة تنزل به عن مرتبة الصحة .

ورفضه أو قبوله خلاف فكرى ، وليس خلافاً عقائدياً . والعلة فى المتن يبصرها المحققون ، وتخفى على أصحاب الفكر السطحى ، وقد رفض الأئمة أحاديث صح سندها واعتل متنها فلم تستكمل بهذا الخلل شروط الصحة"(٤).

● روى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال :

"أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام . فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال : أرسلتنى إلى عبد لايريد الموت . قال فرد الله إليه عينه وقال : ارجع إليه . فقل له : يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل

---

(١) السنة النبوية ص٢٦-٢٧ .

(٢) هو الإمام العلامة محمد بن على بن عمر التميمى المازرى أبو عبد الله من فقهاء المالكية ، نسبته إلى مازر بجزيرة صقلية. كان محدثاً ، فقيهاً ، أصولياً ، أديباً ، وله دراية بالطب .
من آثاره : "المعلم بفوائد شرح مسلم" ، "شرح كتاب التلقين لعبد الوهاب المالكى" ، "الكشف والأنباء" ، "إيضاح المحصول فى برهان الأصول" . توفى عام ٥٣٦هـ .
انظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ٦١٥/١ ، سير أعلام النبلاء ١٠٤/٢٠-١٠٦ ، معجم المؤلفين ٣٢/١١ ، الأعلام ٢٧٧/٦ .

(٣) العلة فى الحديث : سبب غامض خفى . قادح فى الحديث ، مع أن الظاهر السلامة منه . الباعث الحثيث ص٦٢ .

(٤) السنة النبوية ص٢٩ .

شعـرة سنة . قال : أى رب ثم مه ؟ قال : ثم الموت . قـال : فالآن . فسأل اللـه أن يدنيه من الأرض المقـدسة رمية بحجر . فقال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم : "فلو كنت ثم ، لأريتكم قبره إلى جانب الطـريق ، تحت الكثيب الأحمر"(١).

هذا حديث صحيح حكم أهل الحديث بصحته ، وقد حمله أهل السنة على ظـاهره ، وأن موسى عليـه السلام فقأ عين ملك الموت المتمثـل فى تلك الصورة حقيقة ، وقد فعل ذلك بإذن من الله تعالى(٢).

---

(١) الحديث أخرجه البخـارى فى صحيحه بلفظ مقارب موقوفاً على أبى هـريرة . كتاب الجنـائز (٢٣) ، باب مـن أحب الـدفن فى الأرض المقـدسـة (٦٩) ، ٢/٩٢-٩٣ ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب وفاة موسى (٣١) ، ٤/١٣٠-١٣١ . ثم قـال : "وأخبرنا معمـر عـن همام قال حدثنا أبو هـريرة رضى الله عنه عن النبى صلى اللـه عليـه وسلم نحوه" .
وأخرجه مسلم فى صحيحه واللفظ له موقوفاً على أبى هريرة برقم ٢٣٧٢ ، وأخرج نحوه مـرفوعاً إلى النبى صلى اللـه عليـه وسلم من طريق معمـر عـن همـام عن أبى هريرة.
كتـاب الفضـائل (٤٣) ، باب مـن فضـائل مـوسى صلى اللـه عليـه وسلم (٤٢) ، ٤/١٨٤٢-١٨٤٣ .
وأخرجه النسائى فى سننه بلفظ مقارب من حديث أبى هريرة. كتـاب الجنائز ، باب نوع آخر من التعزية ٤/٩٦ .
وأخرج أحمـد فى مسنده نحوه مـن حديث أبى هريرة موقـوفاً عليه ٢/٢٦٩،٣٥١ .
ومرفوعاً من حديث النبى صلى الله عليه وسلم ٢/٣١٥،٥٣٣ .
وأخرج نحوه ابن حبـان فى صحيحـه مـن طريق عبد الرزاق عـن معمـر عـن ابن طاوس عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم برقم ٦٢٢٣ .
كتاب التاريخ (٦٠) ، باب بدء الخلق (١) ، ١٤/١١٢-١١٣ . الإحسان .
وأخرج نحوه عبـد الـرزاق فى مصنفـه من طريق معمر عـن ابن طـاوس - الطريق السابق عند ابن حبان - مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم برقم ٢٠٥٣٠ ثم قال قال معمر : وأخبرنا همام عن أبى هريرة مثله برقم ٢٠٥٣١ . وأشار إلى رواية عن الحسن مرسلة برقم ٢٠٥٣٢ ، باب موسى وملك الموت ١١/٢٧٤-٢٧٥ .
وأخرج ابن قتيبـة نحوه من حديث عمـار بن أبى عمار عـن أبى هـريرة مرفوعاً . تأويل مختلف الحديث ص٢٧٦ .

(٢) انظر : الحجة فى بيان المحجة ٢/٤٠٨ .

وهذا خبر إنما يدرك معناه من لم يحرم التوفيق لإصابة الحق .

فإن الله أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام رسالة ابتلاء واختبار ، وهو سبحانه لايريد إمضاء ماأمر به ، كما أمر إبراهيم عليه السلام من قبل بذبح ابنه أمر ابتلاء واختبار . وقد جاءه الملك فى صورة لايعرفه عليها ، وكان موسى عليه السلام غيوراً ، وقد رأى رجلاً فى داره لايعرفه ، فلطمه ففقأ عينه .

ومن المعلوم فى شرعنا أن من فقأ عين الداخل داره بغير إذنه أو الناظر إلى بيته من غير أمره ، لاحرج عليه . فما فعله موسى كان مباحاً له لاحرج عليه فى فعله ، لأن ذلك مما يجوز اتفاق الشرائع فيه .

فرجع ملك الموت إلى ربه وأخبره بما فعل موسى عليه السلام فأمره أمر ابتلاء واختبار آخر لموسى عليه السلام ، بأن يضع يده على متن ثور ، وله بما غطت يده من شعره بكل شعرة سنة ، فلما علم موسى عليه السلام أنه ملك الموت ، وأنه جاء بأمر من عند الله طابت نفسه بالموت ولم يستمهل وقال : فالآن .

فلو علمه موسى عليه السلام فى المرة الأولى لما فعل معه مافعل .

هذا ماذهب إليه أصحاب الحديث خلافاً لمن زعم أنهم حمالة الحطب ، ورعاة الليل ، يجمعون مالاينتفعون به ، ويروون مالايؤجرون عليه ، ويقولون بما يبطله الإسلام ، جهلاً منه لمعانى الأخبار ، وترك التفقه فى الآثار ، معتمداً منه على رأيه المنكوس ، وقياسه المعكوس(١).

قال النووى رحمه الله :

"قال المازرى : وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصوره ، قالوا : كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت ؟ قال : وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة :

---

(١) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ١٤/١١٤-١١٦ بتصرف .

أحدها : أنه لايمتنع أن يكون موسى صلى الله عليه وسلم قد أذن الله تعالى له فى هذه اللطمة ويكون ذلك امتحاناً للملطوم والله سبحانه وتعالى يفعل فى خلقه ماشاء ويمتحنهم بما أراد .

والثانى : أن هذا على المجاز والمراد أن موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة ، ويقال فقأ فلان عين فلان إذا غالبه بالحجة ،ويقال عورت الشيء إذا أدخلت فيه نقصاً ، قال : وفى هذا ضعف لقوله صلى الله عليه وسلم "فرد الله عينه" فإن قيل أراد رد حجته كان بعيداً .

والثالث : أن موسى صلى الله عليه وسلم لم يعلم أنه ملك من عند الله وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقء عينه لأنه قصدها بالفقء ، وتؤيده رواية صكه . وهذا جواب الإمام أبى بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازرى والقاضى عياض ، قالوا : وليس فى الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه . فإن قيل فقد اعترف موسى حين جاءه ثانياً بأنه ملك الموت . فالجواب : أنه أتاه فى المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى"(١).

وبعد هذا يمكن أن نجمل ماأثاره محمود أبو رية ومحمد الغزالى من شبهات حول الحديث فى النقاط التالية :

(١) إنه مروى عن أبى هريرة (وقد جادل البعض فى صحته) ، (فلعل متنه معلول) ، (إن فى متنه علة قادحة تنزل به عن مرتبة الصحة) . والعلة فى المتون يبصرها المحققون وتخفى على أصحاب الفكر السطحى.

(٢) إنه مشكل وتفوح منه رائحة الإسرائيليات .

(٣) إنه لايفيد شيئاً فهو لايتصل بعقيدة ولايرتبط به عمل . والاشتغال بغيره أجدى . ورفضه أو قبوله خلاف فكرى وليس خلافاً عقائدياً .

---

(١) شرح النووى على مسلم ١٢٩/١٥-١٣٠ . وانظر: المعلم بفوائد مسلم ٣/١٣٢-١٣٣ .

(٤) متنه يثير الريبة لأنه يفيد أن موسى يكره الموت ، ولايحب لقاء الله ، وهـذا معنى مـرفوض عند الأنبيـاء والصالحين لما جاء فى الحديث الآخر "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه" .

(٥) الملائكـة لاتعـرض لهم العـاهات التى تعرض للبشـر مـن عمى وعور .

(٦) من جعل إنكار الحديث إلحاداً فهو يستطيل فى أعراض المسلمين ، ومن دافع عنه فدفاعه كله خفيف الوزن ، وهو دفاع تافه لايساغ .

ويجاب على ذلك بالآتى :

(١) أولاً : هـذا حديث صحيح تلقـاه علماء الحديث بالقبـول والتسليم لأنه ورد إليهـم عـن طـريق الثقـات الأثبـات المأمونين ، ولـذا أوردوه فى دواوين الإسلام مـن صحـاح وسنن وجوامع مسلمين بصحتـه معتقدين بمضمونه(١).

وقد رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، والنسائى فى سننـه ، والإمام أحمـد فى مسنده ، وابن حبان فى صحيحه ، وعبد الرزاق فى مصنفـه ، وابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث وغيرهم(٢).

وقد تصدى جمع من علماء الإسلام والأئمة الأعلام للرد على من طعن فيـه بالتكـذيب ، ودحضوا شبهـاتهم وكشفـوا عوارهـم فلم يبـق لدعى حجة بوجه(٣).

ثانياً : لم يبين الغزالى من هؤلاء الذين جادلوا فى صحتـه ، ولعله يعنى من وصفهم المازرى بالملحدين ؟

فهـؤلاء لاحجـة فى قـولهـم ، ولـو أجمعـوا على ذلـك ، كيـف وهـم ملحـدون ، ومن العار بل مـن الضلال أن يكون سلـف الغـزالى فى تصحيح الأحاديث وتضعيفها هؤلاء .

---

(١) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص١٨٧ .

(٢) انظر تخريج الحديث السابق .

(٢) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص١٨٧ .

ثالثاً : ماهى العلة القادحة التى ادعاها الغزالى فى متن هـذا الحديث ؟ ومـن سبقـه عليهـا مـن علمـاء الإسلام الـذين يؤخذ بقـولهم ويعتمـد على تصحيحهم وتضعيفهم ؟

ولعلـه يعنى فقهاء الإسلام الذين كثيراً مايتبجح بهـم ، فمن منهم أعل هذا الحديث ، وقدح فى متنه ؟

إنهـا مـزاعم تلقـى على عـواهنها لاسنـد لها ولامـؤيد مـن أهـل الحق وحملـة الشـريعة ، ولاتجد رواجاً إلا عنـد كليلى البصـائر ومعتلى العقـول .

وقـد تناقض الغزالى فى إصدار حكمه على هذا الحديث ، فتردد أولاً فى الحكـم بصحتـه ، ثم ذكر قولاً محتملاً فقـال : "فلعل متنـه معلـول" ثم جزم أخيرا بأن فيه علة قادحة(١). وعلة ذلك أن الأمر عنده خاضع للذوق وليس أمراً علمياً يخضع للقواعد والأصول .

والغـزالى رجل له جهوده فى جانب الفكر ، ولكن لايحق لـه أن يقحم نفسـه فى مجال لاقدرة له على اقتحامه ، ويواجه معركـة حامية وهو مجرد عن السلاح ، وهـو ماعلمته قليـل البضاعة فى الحديث والفقـه أيضـاً ، وأصدق شاهد على ذلك كتبه ، والحديث والفقه لهما رجال يعرفون بهما .

وفـن علل الحديث فن غامـض عميق الجذور لايتصـدى له إلا جهابذة علماء الحديث ، ولايقتحم لجته إلا المتضلعون فى علم الحديث رواية ودراية .

قال ابن الصلاح رحمه الله :

"اعلم أن معـرفة علل الحديث من أجل علوم الحديث وأدقهـا وأشرفها وإنما يضطلع بذلك أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب وهى عبارة عن أسباب خفية غامضة قادحة فيه"(٢).

وقال ابن كثير رحمه الله :

"وهو فن خفى على كثير من علماء الحديث ، حتى قـال بعض حفاظهم معرفتنا بهذا كهانة عند الجاهل .

---

(١) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص١٨٣ .

(٢) مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح ص١١٦ .

وإنما يهتدى إلى تحقيق هذا الفن الجهابذة النقاد منهم ، يميزون بين صحيح الحديث وسقيمه ، ومعوجه ومستقيمه ، كما يميز الصيرفى البصير بصناعته بين الجياد والزيوف ، والدنانير والفلوس . فكما لايتمارى هذا ، كذلك يقطع ذاك بما ذكرناه ، ومنهم من يظن ومنهم من يقف ، بحسب مراتب علومهم وحذقهم واطلاعهم على طرق الحديث ، وذوقهم حلاوة عبارة الرسول صلى الله عليه وسلم التى لايشبهها غيرها من ألفاظ الناس"(١).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

"وهذا الفن أغمض أنواع الحديث وأدقها مسلكاً ، ولايقوم به إلا من منحه الله تعالى فهماً غايصاً واطلاعاًحاوياً وإدراكاً لمراتب الرواة ومعرفة ثاقبة ، ولهذا لم يتكلم فيه إلا أفراد أئمة هذا الشأن وحذاقهم وإليهم المرجع فى ذلك لما جعل الله فيهم من معرفة ذلك ، والاطلاع على غوامضه دون غيرهم ممن لم يمارس ذلك"(٢).

والذى جعل هذا العلم وعراً حتى على كثير من علماء الحديث ، خفاء العلة فيه وصعوبة الوصول إلى معرفتها ، فهى عبارة عن سبب غامض قادح فى صحة الحديث مع أن ظاهره السلامة منها ، ويتطرق ذلك إلى الإسناد الجامع لشروط الصحة ظاهراً ، وتدرك بتفرد الراوى ومخالفته لغيره مع قرائن أخرى .

والطريق إلى معرفة ذلك جمع طرق الحديث والنظر فى اختلاف رواته وضبطهم وإتقانهم . وهى تقع فى الإسناد وهو الأكثر وقد تقع فى المتن(٣).

وماكان للشيخ الغزالى أن يرد هذا المورد وهو لايعد من فرسانه حتى لايتهم بالجهل وقلة العلم ، أو على الأقل عدم المبالاة . ولعله يتشبث بالفقهاء ههنا كما هو ديدنه ، ولكن الفقهاء فى الحقيقة لايشترطون لصحة الحديث

---

(١) اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص٦٠-٦١ .

(٢) النكت على كتاب ابن الصلاح ٧١١/٢ .

(٣) تقريب النووى مع شرحه التدريب ٢٥٢/١-٢٥٣ .

وجود العلة فيه كما لايشترطون وجود الشذوذ أيضاً(١).

بل كانوا رحمهم الله يلجؤون إلى أهل الحديث فى كشف العلل ، لأن المحدثين هم أهل هذا الشأن . ولذا كان الإمام الشافعى رحمه الله مع إمامته وجلالة قدره وسعة علمه يحيل القول على أئمة الحديث فى كتبه فيقول "وفيه حديث لايثبته أهل العلم بالحديث"(٢).

هذا هو شأن العلماء المحققين الذين يتكلمون بعلم وروية .

رابعاً : قوله "العلة فى المتون يبصرها المحققون وتخفى على أصحاب الفكر السطحى" .

من هم المحققون الذين يعنيهم الغزالى ؟ لعله يعنى النظام وشيعته الذين كشف ضلالهم ابن قتيبة وابن خزيمة وغيرهم حول هذا الحديث ، أو لعله يعنى من سماهم المازرى بالملحدين ، فإن لم يكونوا هؤلاء فلم لم يكشف لنا عن أسمائهم أو على الأقل اسم واحد منهم ؟

ثم من هم أصحاب الفكر السطحى ؟ أظنه يعنى الإمام أحمد والبخارى ومسلماً والنسائى وابن قتيبة وابن خزيمة والمازرى والقاضى عياض والنووى وغيرهم من أئمة الإسلام وعلمائه ممن روى هذا الحديث وحكم بصحته وآمن به ورد كيد الطاعنين فيه(٣).

إنها إساءة بالغة توجه لعلماء الإسلام وأئمته ممن اعترفت لهم الأمة بالفضل وأجمعت على جلالتهم وعلو قدرهم . وعلى النقيض من هذا يمدح أهل البدع والضلال ويمجدون ، إنه جور وظلم وتجنى على العلم وأهله ، نسأل الله السلامة والعافية .

(٢) الزعم بأنه مشكل وأنه تفوح منه رائحة الإسرائيليات .

لاإشكال فى الحديث كما توهم أبو رية ، وسوف يجاب على مازعم أنه إشكال فيما يأتى .

---

(١) انظر : التقييد والايضاح ص٢٠ ، تدريب الراوى ٦٥/١ .

(٢) انظر : النكت على كتاب ابن الصلاح ٧١١/١ ، وقول الشافعى فى كتابه الأم ١٣/١ .

(٣) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص١٨٤ ، حوار هادىء ص٩٥،٩٦ .

والحديث مرفوع ثابت رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم كما جاء فى رواية همام بن منبه ، ورواية طاوس أيضاً لها حكم الرفع لأنه مما لامجال للرأى فيه ، وماكان كذلك فله حكم الرفع ، فهذا يبعد كونه من الإسرائيليات(١) .

ولو كان كذلك لما خفى على علماء الأمة وجهابذتها ولسارعوا ببيان ذلك وإيضاحه ، وهم أعلم بذلك وأوعى .

قال الشيخ المعلمى فى رده على أبى رية :

" قد علمنا أن كلام الأنبياء كله حق من مشكاة واحدة ، وأن الرب الذى أوحى إلى أنبياء بنى إسرائيل هو الذى أوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو جاز الحكم بالرائحة لما ساغ أدنى تشكك فى حكم البخارى لأنه أعرف الناس برائحة الحديث النبوى ، وبالنسبة إليه يكون أبو رية أخشم فاقد الشم أو فاسده " (٢) .

(٣) الزعم بأنه لايفيد شيئاً ، زعم مناف للصواب ، وإلا لما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم لأنه لايذكر مالافائدة فيه ، وهو الذى يعلم صلوات الله وسلامه عليه أن أقواله وأفعاله وتقريراته شرع للعباد .

---

(١) انظر : دفاع عن السنة ص ١٩٤ .
قال الحافظ : " أورده - أى البخارى - موقوفاً من طريق طاوس عنه ، ثم عقبه برواية همام عنه مرفوعاً . وهذا هو المشهور عن عبد الرزاق ، وقد رفع محمد بن يحيى عنه رواية طاوس أيضاً أخرجه الإسماعيلى " . فتح البارى ٦/٤٤١ .

(٢) الأنوار الكاشفة ص ١٩٤ .

وإن جهل الشيخ الغزالى فوائد هذا الحديث فقد علمها غيره وإليك جملة من فوائده :

(أ) ابتلاء الإنسان بالإيمان بالغيب . وذلك من خصائص المؤمنين قال تعالى {الذين يؤمنون بالغيب} الآية(١).

(ب) ربط الإنسان بالأجيال السابقة من خلال تفصيلات النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يذكر لأصحابه كثيراً من قصص الماضين ليربطهم بالسابقين ، وليبين لهم أن أمة الإسلام أمة واحدة .

(ج) الكشف عن طبيعة الإنسان ، وإن كان نبياً مختاراً فإنه لايخرج عن بشريته .

(د) فضل الموت فى الأرض المقدسة ، وهذه فائدة فقهية(٢).

قال النووى رحمه الله :

"قال بعض العلماء : وإنما سأل الإدناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عندهم فيفتتن به الناس وفى هذا استحباب الدفن فى المواضع الفاضلة والمواطن المباركة"(٣).

وفيه أيضاً فائدة أخرى وهى سد الذرائع عن الوقوع فى المعاصى وخاصة الشرك بالله تعالى ، ولذا أخفى قبره حتى لايقصده الناس بالعبادة والناس مولعون بالاعتقاد فى قبور الأنبياء والصالحين .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

"وفيه أن الملك يتمثل بصورة الإنسان ، وقد جاء ذلك فى عدة أحاديث . وفيه فضل الدفن فى الأرض المقدسة ... واستدل بقوله "فلك بكل شعرة سنة" على أن الذى بقى من الدنيا كثير جداً لأن عدد الشعر الذى تواريه اليد قدر المدة التى بين موسى وبعثة نبينا صلى الله عليه وسلم مرتين

---

(١) سورة البقرة : آية ٣

(٢) انظر : حوار هادىء ص٩٤،٩٥ .

(٣) شرح النووى على مسلم ١٢٨/١٥ .

وأكثر . واستدل به على جواز الزيادة فى العمر"(١).

وقد ذكر الله تعالى قصصاً كثيرة فى القرآن من أخبار الماضين ، كقصة النملة والهدهد ، وقصة يوسف عليه السلام ، وقصة ذى القرنين وغير ذلك الكثير وهى من قبيل ماجاء فى الحديث . فهل يقال أيضاً أن ذكر هذه لافائدة فيه ؟

والقول بأنه لايتصل بعقيدة ولايرتبط به عمل ، قول يؤدى إلى تهوين أمر الحديث والاستخفاف به ، وهو منفذ يلج من خلاله الملحدون ليشككوا فى دين الله تعالى بالطعن فى كثير مما ورد فى القرآن والسنة النبوية(٢). ولو لم يكن فيه إلا الإيمان بالغيب لكفى ذلك عقيدة لكل مسلم ، واستحباب الدفن فى الأرض المقدسة أمر ينبنى عليه عمل .

وقوله "الاشتغال بغيره أجدى" . فيه تزهيد كامل فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وصد الناس عن تعلمه ومعرفته . وفى ذلك أيضاً استدراك على النبى صلى الله عليه وسلم الذى أخبر بذلك الصحابة ، وكان على هذا الزعم يجب عليه أن يشغلهم بغيره .

والزعم بأن رفضه أو قبوله خلاف فكرى وليس خلافاً عقائدياً . زعم فيه استطالة على السنة النبوية ، وإحياء لمذهب النظام وأمثاله من المعتدين عليها ، وعبث يفضى إلى الاستهانة بأمرها والتحقير من شأنها(٣).

ولكى يكون الغزالى دقيقاً فى تعبيراته كان أحرى به أن يقول : "خلاف علمى" ، إذ الخلاف الفكرى أمر تجول فيه خواطر العقل التى لاتلتزم بأصل ولاقاعدة ، وإنما تخضع لقواعد المنطق العام ، التى تتباين وتختلف فيها وجهات النظر فى العموم ، بينما الخلاف العلمى ينبنى على قواعد وأصول ، تتعارض فيه الأدلة فى خصوصيات مضبوطة ، وهذا الأليق بالحديث النبوى ، إذ المفكر لامجال له فى الخوض فى قبول الحديث ورده ،

---

(١) فتح البارى ٦/٤٤٣ .

(٢) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص١٧٣ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ص١٨٣ .

وإنما ذلك أمر يتعلق بأهل الاختصاص ، وإن خالف فخلافه غير معتبر ولايلتفت إليه(١).

ولايسلم للغزالى بوجود خلاف أصلاً فى صحة الحديث وعدمها ، إذ الحديث صحيح ولاخلاف فى ذلك .

ولايسلم له بنفى الخلاف العقائدى عنه ، وإلا لما رمى العلماء المنكرين المخالفين فيه بالإلحاد .

(٤) إن كراهية الموت أمر فطرى فى البشر ، وقد شرع الله الدفاع عن النفس ، ونهى عن القائها فى التهلكة .

وقد اتخذ الأنبياء ـ مع أنهم أكثر الناس شجاعة ـ من الأسباب الواقية المشروعة مايدفعون به الأخطار وغوائل الأعداء .

فالنبى صلى الله عليه وسلم هاجر خفية ، واختفى فى الغار ، وأعمى أخباره عن الأعداء ، واتخذ حراساً يحرسونه حتى نزل قول الله تعالى : {والله يعصمك من الناس}(٢)، فصرفهم عن حراسته ، وظاهر يوم أحد بين درعين .

وقد وقع لموسى عليه السلام من ذلك أمور ، كما قال تعالى : {وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب ياموسى أقبل ولاتخف إنك من الآمنين}(٣).

وقال تعالى : {وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين . فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين}(٤).

وهذا كله من الأسباب الشرعية المعقولة التى لاتخدش فى مقام الأنبياء ولامكانتهم(٥).

---

(١) انظر : أزمة الحوار الدينى ص٤١،٤٢ .
(٢) سورة المائدة : آية ٦٧
(٣) سورة القصص : آية ٣١
(٤) سورة القصص : آية ٢٠،٢١
(٥) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص١٧٨،١٧٩ .

وموسى عليه السلام لم يعلم أن ذلك المعتدى عليه ملك الموت ولذلك لطمه دفاعاً عن نفسه ورداً لغائلته لافراراً من موت ولارغبة فى حياة . ولذا لما علم فى المرة الثانية أنه ملك الموت رغب فى لقاء ربه ، واختار الموت دون الحياة(١).

ولامعارضة بين هذا الحديث وبين حديث "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه" . وهذا بيانه :

روى مسلم بسنده إلى عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه . ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه" . فقلت : يانبى الله : أكراهية الموت ؟ فكلنا نكره الموت . فقال : "ليس كذلك . ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته ، أحب لقاء الله ، فأحب الله لقاءه . وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه ، كره لقاء الله ، وكره الله لقاءه"(٢).

وروى بسنده عنها رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . والموت قبل لقاء الله"(٣).

وروى بسنده أيضاً عن شريح بن هانىء عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه . ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه" . قال فأتيت عائشة فقلت : ياأم المؤمنين ! سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله حديثاً . إن كان كذلك فقد هلكنا

---

(١) انظر : مشكلات الأحاديث ص١٩٥ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء (٤٨) ، باب من أحب لقاء الله (٥) برقم ٢٦٨٤ ، ٤/٢٠٦٥-٢٠٦٦ .
وأخرج نحوه البخارى فى صحيحه من حديث عبادة بن الصامت ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب من أحب لقاء الله (٤١) ، ١٩١/٧ .

(٣) صحيح مسلم ، فى الكتاب والباب والجزء السابق ص٢٠٦٦ .

فقالت : إن الهالك من هلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم . وماذاك؟ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه" وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت . فقالت : قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم . وليس بالذى تذهب إليه . ولكن إذا شخص البصر ، وحشرج (١) الصدر ، واقشعر (٢) الجلد ، وتشنجت (٣) الأصابع . فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه"(٤).

قال النووى رحمه الله :

"هذا الحديث يفسر آخره أوله ويبين المراد بباقى الأحاديث المطلقة ، من أحب لقاء الله ، ومن كره لقاء الله ، ومعنى الحديث أن الكراهة المعتبرة هى التى تكون عند النزع فى حالة لاتقبل توبته ولاغيرها فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وماأعد له ويكشف له عن ذلك"(٥).

ومن هنا يتبين أن حب لقاء الله وكراهيته ليسا على إطلاقهما ، وإنما ذلك مقيد بوقت محدود وزمن معين وهو الذى نص عليه الحديث "إذا شخص البصر ...الخ" وبين ذلك النووى رحمه الله . وليست هى كراهية الموت التى طبع عليها البشر قبل تلك الحال ، وقد خطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من فهم ذلك . والحال التى جابه فيها موسى ملك الموت

---

(١) الحشرجة : هى الغرغرة عند الموت وتردد النفس . النهاية ٣٨٩/١ .

(٢) اقشعر : أى تقبض وتجمع . انظر : النهاية ٦٦/٤ .

(٣) تشنجت : أى انقبضت وتقلصت . النهاية ٥٠٣/٢ .

(٤) صحيح مسلم ، فى الكتاب والباب والجزء السابق ص٢٠٦٦ برقم ٢٦٨٥ .
وشريح بن هانىء : هو ابن يزيد الحارثى المذحجى ، أبو المقدام الكوفى ، مخضرم ، ثقة معمر عابد .
صاحب على ، وسمع من عمر ، وروى عنه الحكم بن عتيبة والقاسم بن مخيمرة .
قتل سنة ٧٨هـ مع ابن أبى بكرة بسجستان .
انظر : الجرح والتعديل ٣٣٣/٢ ، الكاشف ٩/٢ ، تقريب التهذيب ٣٥٠/١ .

(٥) شرح النووى على مسلم ٩/١٧-١٠ .

عليهما السلام ليست هى الحال التى عناها النبى صلى الله عليه وسلم بذكر الحديث(١).

(٥) القول بأن الملائكة لاتعرض لهم العاهات التى تعرض للبشر ، دعوى تحتاج إلى دليل . وماالمانع فى ذلك ؟

وهم خلق من خلق الله وجدوا من عدم فوهب الله لهم الحياة ، ثم يموتون ويفنون بقدرة الله تعالى ، فمن جاز عليه الموت فغيره مما هو دونه من العاهات أولى بالجواز(٢).

وقد جاء فى القرآن والسنة مايثبت أن الملائكة يتمثلون فى صور البشر كما جاءوا إلى إبراهيم عليه السلام(٣)، ولوط عليه السلام(٤)، وكما تمثل الملك لمريم عليها السلام فى صورة رجل كما قال سبحانه : {فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً}(٥). وقد كان جبريل عليه السلام يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية الكلبى ، وفى صورة رجل من الأعراب ، فما المانع أن يتمثل ملك الموت فى صورة رجل ثم يأتى إلى موسى عليه السلام وهو لايعرفه(٦). وقد ظنه عادياً يريد الاعتداء عليه فدافعه عن نفسه ، فلطمه ، ففقأ عينه(٧).

---

(١) انظر : كشف موقف الغزالى ص١٨٠،١٨١ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ص١٨١ .

(٣) انظر : سورة هود : آية ٦٩،٧٠ ، الحجر : آية ٥١ فما بعدها ، الذاريات : آية ٢٤ فما بعدها .

(٤) انظر : سورة هود : آية ٧٧ فما بعدها ، الحجر : ٦١ فما بعدها ، العنكبوت : آية ٣٣ .

(٥) سورة مريم : آية ١٧

(٦) انظر : تأويل مختلف الحديث ص٢٧٧ ، الحجة فى بيان المحجة ٤٠٨/٢ ، فتح البارى ٤٤٢/٦ ، الأنوار الكاشفة ص٢١٩ ، مشكلات الأحاديث ص١٩٤ ، دفاع عن السنة ص١٩٤ .

(٧) انظر : مشكلات الأحاديث ص١٩٥ ، دفاع عن السنة ص١٩٤ .

وليس ذلك بغريب على موسى عليه السلام ، فقد وكز القبطى فقضى عليه ، ولم يكن يريد ذلك ، كما قال سبحانه : {فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين . قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم}(١).

واللطمة إنما أذهبت العين التى هى تخييل وتمثيل وليست حقيقة ، فلما عاد ملك الموت إلى حقيقته ، لم ينتقص منه شىء ، فتأثير اللطمة إنما كان على ذلك الجسد العارض ، وفقء العين عبارة عن عاهة عارضة للصورة التى تمثل بها الملك وليست للصورة التى خلق عليها(٢).

ونفى الحقيقة هنا ليس نفياً لحقيقة اللطمة ، ولالتأثيرها ، وإنما هو نفى لوقوعها على ذات الملك فى خلقته الحقيقية .

(٦) من هم المسلمون الذين أنكروا هذا الحديث واستطال فى عرضهم من وصم منكره بالإلحاد ؟ لماذا لم يذكرهم الغزالى ؟ وهل الاستطالة على السنة النبوية الصحيحة الثابتة المتلقاة بالقبول من الأمة الإسلامية سهل على الغزالى حتى انبرى يدافع ويناضل عن المستطيلين عليها؟(٣)

إن العلماء الذين وصموا أولئك بالإلحاد يعرفون قدر السنة ومقامها ولذلك يأبى عليهم إيمانهم وعقيدتهم السكوت عنهم . إنهم حماة الدين والذابون عنه ، وإن لم يرض ذلك الغزالى .

وكيف جاز له أن يسمى دفاعهم بأنه خفيف الوزن ، تافه ، لايساغ ، أليس هذا قدح واستطالة على علماء أجلاء شهدت لهم الأمة بالفضل والعلم.

إن لحوم العلماء ياشيخ مسمومة ، وأقوالهم محترمة مقدرة وإن لم يؤخذ بها ، فالواجب علينا التأدب معهم وتكريمهم لاالإساءة إليهم وتسفيه أقوالهم .

---

(١) انظر : مشكلات الأحاديث ص١٩٤ ، كشف موقف الغزالى من السنة ص١٧٤ . والآيات هى : ١٦،١٥ من سورة القصص .

(٢) انظر : تأويل مختلف الحديث ص٢٧٨ ، الحجة فى بيان المحجة ٤٠٨/٢ ، فتح البارى ٤٤٣/٦ ، الأنوار الكاشفة ص٢٢٠ ، دفاع عن السنة ص١٩٥ ، حوار هادىء ص٩٥ .

(٣) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص١٨٢،١٨٣ .

الحديث الثالث :
حديث وقوع الذباب فى الإناء .

قال الشيخ محمد رشيد رضا :

"وحديث الذباب المذكور غريب عن الرأى وعن التشريع جميعاً .

أما التشريع فى مثل هذا فإن تعلق بالنفع والضرر فمن قواعد الشرع العامة أن كل ضار قطعاً فهو محرم قطعاً ، وكل ضار ظناً فهو مكروه كراهة تحريمية أو تنزيهية على الأقل إن كان الظن ضعيفاً .

فغمس الذباب فى المائع الذى يقع فيه لايتفق مع قاعدة تحريم الضار ولامع قاعدة اجتناب النجاسة .

وأما الرأى فلايمكن أن يصل إلى التفرقة بين جناحى الذبابة فى أن أحدهما سام ضار والآخر ترياق واق من ذلك السم .

وإننا لم نر أحداً من المسلمين ولم نقرأ عن أحد منهم العمل بهذا الحديث ، فالظاهر أنهم عدوه مما لادخل له فى التشريع كغيره من الأحاديث المتعلقة بالمعالجات الطبية والأدوية ...

وإن إخراج البخارى لهذا الحديث فى جامعه لايعصمه من التماس علة فى رجاله تمس مناعة صحته ، فإن مداره عنده على عبيد بن حنين(١) مولى بنى زريق انفرد به وليس له غيره فهو ليس من أئمة الرواة المشهورين

---

(١) هو عبيد بن حنين ، أبو عبد الله المدنى ، روى عن أبى موسى وزيد بن ثابت وطائفة ، وعنه أبو الزناد ويحي بن سعيد ، ثقة قليل الحديث . مات سنة ١٠٥هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٤٠٤/٥ ، الكاشف ٢٣٧/٢ ، تهذيب التهذيب ٦٣/٧ ، تقريب التهذيب ٥٤٢/١ .
ولم أقف على أحد اتهمه أو رماه بما رماه به رشيد رضا . أو أعل هذا الحديث أو غيره بسببه .
وماذكره رشيد رضا مردود بتوثيق العلماء له .

الذين تخضع الرقاب لعدالتهم وعلمهم وضبطهم كمالك عن نافع(١)عن ابن عمر مثلاً ، ومن الغريب أنه لم يذكر فى تهذيب التهذيب أن له رواية عن أبى هريرة ، فإن كان بينهما واسطة يكون منقطعاً ، ولكن لم يذكر الحافظ ذلك على تحريه لمثل هذه العلل . وفيه أن أبا حاتم قال فيه كان صالح الحديث وهى من أدنى مراتب التوثيق حتى قدم الحافظ الذهبى وغيره عليها كلمة لابأس به .

فإذا غلب على قلب مسلم أن رواية ابن حنين هذا غير صحيحة وارتاب بغرابة موضوع حديث الذباب لايكون قد ضيع من دينه شيئاً ، ولايقتضى ارتيابه هذا أوجزمه بعدم صدق ابن حنين فيه الطعن فى البخارى لأنه قبل روايته لأنه لم يعلم جارحاً يجرحه فيه إلا هذا الشذوذ الذى يجبره حديث أبى سعيد عند النسائى وابن ماجه بمعناه ... وكل من ظهر له علة فى رواية حديث فلم يصدق رفعه لأجلها فهو معذور شرعاً ، ولايصح أن يقال فى حقه أنه مكذب لحديث كذا ...

تنبيه : أن ابن حنين راوى حديث الذباب من مسلمة الأعاجم والظاهر أنه من النصارى"(٢).

وقال : "وإننى أعلم بالاختيار أيضاً أن ذلك المسلم الغيور - يعنى محمد توفيق صدقى(٣)- لم يطعن فى صحة هذا الحديث كتابة إلا لعلمه بأن

---

(١) هو نافع أبو عبد الله المدنى ، مولى ابن عمر ، ثقة ثبت فقيه ، مشهور . وهو من أئمة التابعين وأعلامهم .
روى عن ابن عمر وأبى هريرة وعائشة ، وعنه أيوب ومالك والليث . قال مالك "إذا سمعت نافعاً يحدث عن ابن عمر لاأبالى أن لاأسمع من غيره" .
مات سنة ١١٧هـ أو بعدها .
انظر : الجرح والتعديل ٤٥٢/٨ ، الكاشف ١٩٧/٣ ، تقريب التهذيب ٢٩٦/٢ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ٢٩ ، ص٤٨-٥٠ .

(٣) وهو من الذين طعنوا فى حديث الذباب وردوه بالعقل .
انظر مجلة المنار ، المجلد ١٩ ، ص٩٧ .

تصحيحه من المطاعن التى تنفر الناس عن الإسلام ، وتكون سبباً لردة بعض ضعفاء الإيمان ، وقليلى العلم الذين لايجدون مخرجاً من مثل هذا المطعن إلا بأن فيه علة فى المتن تمنع صحته ، وكان هو يعتقد هذا . وماكلف الله مسلماً أن يقرأ صحيح البخارى ويؤمن بكل مافيه وإن لم يصح عنده أو اعتقد أنه ينافى أصول الإسلام ... يكفر مسلم من خيار المسلمين علماً وعملاً ودفاعاً عن الإسلام ودعوة إليه بدليل أو شبهة على صحة حديث رواه البخارى عن رجل يكاد يكون مجهولاً واسمه يدل على أنه لم يكن أصيلاً فى الإسلام وهو عبد الله بن حنين .

وموضوع متنه ليس من عقائد الإسلام ولامن عباداته ولامن شرائعه ولاالتزم المسلمون العمل به"(١).

ويرى محمود أبو رية أن الإنسان وصل فى هذا العصر إلى مخترعات ومكتشفات من العلوم التى تدهش العقول ، فلاينبغى للإنسان أن؛ يشغل الناس بالأبحاث العقيمة التى لاتنفع ولاتفيد بل هى إلى الإساءة أدنى وإلى ضرر الناس أقرب .

ومثال لذلك بحث حديث الذباب الذى يفتح على الدين شبهة يستغلها أعداء الإسلام ، ويتوارى عن ذلك أولياؤه ، بل يجب أن يترك هذا البحث إلى ماوصل إليه العلم بأبحاثه الدقيقة وتجاربه الصحيحة التى لايمكن نقضها ولايرد حكمها .

ثم قال :

"وماذا يضر الدين إذا أثبت العلم مايخالف حديثاً من الأحاديث التى جاءت من طريق الآحاد وبخاصة إذا كان هذا الحديث فى أمر من أمور الدنيا التى ترك النبى صلوات الله عليه أمرها إلى علم الناس . وهل أوجب علينا الدين أن نأخذ بكل حديث حملته كتب السنة أخذ تسليم وإذعان وفرض علينا أن نصدقها ونعتقد بها اعتقاداً جازماً .

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ٢٩ ، ص٥٠-٥١ .

الأخبار التى جاءت من طريق الآحاد وحملتها كتب الحديث فإنها لاتعطى اليقين وإنما تعطى (الظن) والظن لايغنى من الحق شيئاً . وللمسلم أن يأخذ بها ويصدقها إذا اطمأن قلبه بها وله أن يدعها إذا حاك فى صدره شىء منها . وهذا أمر معروف عند النظار من علماء الكلام والأصول والفقه ولم يعارض فيه إلا (زوامل الأسفار)(١) من الحشوية الذين لايقام لهم وزن .

وإذا نحن أخذنا حديث الذباب على إطلاقه ولم نسلط عليه أشعة النقد فإنا نجده من أحاديث الآحاد وهى التى تفيد الظن - وإذا لم يسعنا ذلك فى رده بعد أن أثبت العلم بطلانه فليسعنا ماوضعه العلماء من قواعد عامة - ومن هذه القواعد (أنه ليس كل ماصح سنده يكون متنه صحيحاً ، ولاكل مالم يصح سنده يكون متنه غير صحيح - بل قالوا - إن الموضوع من حيث الرواية قد يكون صحيحاً فى الواقع . وإن صحيح السند قد يكون موضوعاً فى الواقع . ومن القواعد المشهورة : إن من علامة الحديث الموضوع مخالفته لظاهر القرآن أو القواعد المقررة فى الشريعة أو للبرهان العقلى أو للحس والعيان وسائر اليقينيات .

وإذا قيل إن هذا الحديث قد رواه البخارى وهو لايروى إلا ماكان صحيحاً ، فإنا نرد على ذلك بأن البخارى قد روى فى كتابه مااعتبره هو صحيحاً عملاً بظاهر الإسناد لاماثبت فى الواقع أنه صحيح . ومن أجل ذلك لايلزم غيره بما اعتبره هو . وإذا قالوا حديث (متفق عليه) فليس معنى ذلك أن الأمة كلها قد اتفقت على صحته وإنما معنى ذلك أن البخارى ومسلماً قد

---

(١) الزاملة : هى التى يحمل عليها من الإبل وغيرها .
انظر : القاموس المحيط ص١٣٠٦ .
وأسفار : جمع سفر وهو الكتاب الكبير .
انظر : المرجع السابق ص٥٢٣ .
والمراد أنهم حملة كتب لايفقهون مافيها .

اتفقا على روايته(١).

على إننا إذا سلمنا كما قلنا بأن النبى صلوات الله عليه قد نطق بهذا الحديث ثم أثبت العلم ضرر الذباب فليس علينا من بأس فى الرجوع عنه ، وعدم الأخذ به ، لأنه من أمور الدنيا . ولنا فى ذلك أسوة حسنة بما فعل النبى صلوات الله عليه حينما رأى أهل المدينة يؤبرون النخل فأشار عليهم بأن لايؤبروه(٢)، ثم ذكر حديث التأبير . وذكر أن الحديث من رواية أبى هريرة وقد ردوا له أحاديث كثيرة .

❁ روى البخارى بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه ، فإن فى إحدى جناحيه شفاء وفى الآخر داء"(٣).

---

(١) قال ابن الصلاح : "أعلاها ـ أى مراتب الصحيح ـ الأول وهو الذى يقول فيه أهل الحديث كثيراً صحيح متفق عليه . يطلقون ذلك ويعنون به اتفاق البخارى ومسلم لااتفاق الأمة عليه .لكن اتفاق الأمة عليه لازم من ذلك وحاصل معه لاتفاق الأمة على تلقى مااتفقا عليه بالقبول" .
مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح ص٤١ .

(٢) أضواء على السنة المحمدية ص١٩٩-٢٠١ فى الهامش .
وسوف يأتى تخريج حديث تأبير النخل والكلام عنه .
والتأبير : هو التلقيح من أبرت النخلة إذا لقحتها فهى مأبورة ومؤبرة أى ملقحة .
انظر : النهاية فى غريب الحديث ١٣/١ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الطب (٧٦) ، باب إذا وقع الذباب فى الإناء (٥٨) من رواية عبيد بن حنين عن أبى هريرة ٣٣/٧ .
وأخرج نحوه من رواية عبيد بن حنين أيضاً فى كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم (١٧) ، ١٠٠/٤ .
وأخرج أبو داود فى سننه نحوه من رواية سعيد المقبرى عن أبى هريرة ، كتاب الأطعمة ، باب فى الذباب يقع فى الطعام ، ورقمه ٣٨٤٤ ، ٣٦٥/٣ .
وأخرج النسائى فى سننه نحوه من حديث أبى سعيد الخدرى ، كتاب الفرع والعتيرة ، باب الذباب يقع فى الإناء ١٥٨/٧ .
وأخرج ابن ماجه فى سننه نحوه من رواية عبيد بن حنين عن أبى هريرة برقم ٣٥٠٥ ، ومن حديث أبى سعيد الخدرى برقم ٣٥٠٤ ، كتاب الطب (٣١) ، باب يقع الذباب فى الإناء (٣١) ، ١١٥٩/٢ . =

.....

= وأخرج الدارمى فى سننه نحوه من رواية عبيد بن حنين وثمامة بن عبد الله بن أنس عن أبى هريرة ، كتاب الأطعمة ، باب الذباب يقع فى الطعام ، ٢/٩٨-٩٩ .
وأخرج البيهقى فى سننه نحوه من رواية عبيد بن حنين وسعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة . وأشار إلى رواية أبى صالح عن أبى هريرة .
وأخرج نحوه من حديث أبى سعيد الخدرى . كتاب الطهارة ، باب مالانفس له سائلة إذا مات فى الماء القليل ١/٢٥٢،٢٥٣ .
وأخرج نحوه ابن خزيمة فى صحيحه من رواية سعيد المقبرى عن أبى هريرة ، باب ذكر الدليل على أن سقوط الذباب فى الماء لاينجسه (٨٠) ، ١/٥٥-٥٦ .
وأخرج الإمام أحمد فى مسنده نحوه من رواية :
سعيد المقبرى عن أبى هريرة ٢/٢٢٩،٢٣٠،٢٤٦،٤٤٣ ، وثمامة بن عبد الله بن أنس عنه ٢/٢٦٣،٣٥٥،٣٨٨ ، وأبى صالح عنه ٢/٣٤٠ ، ومحمد بن سيرين عنه ٢/٣٥٥،٣٨٨ ، وعبيد بن حنين عنه ٢/٣٩٨ ، وأبى سعيد الخدرى ٣/٢٤،٦٧ .
وأخرج ابن حبان فى صحيحه نحوه من رواية سعيد المقبرى عن أبى هريرة برقم ١٢٤٦ ، كتاب الطهارة(٨) ، باب المياه (١٠) ، ذكر مايعمل المرء عند وقوع مالانفس له تسيل ٤/٥٣ .
ومن حديث أبى سعيد الخدرى برقم ١٢٤٧ ، فى الكتاب والباب السابقين ، ذكر الأمر بغمس الذباب فى الإناء ٤/٥٥-٥٦ (الإحسان) .
وأخرج البغوى فى شرح السنة نحوه من رواية عبيد بن حنين عن أبى هريرة برقم ٢٨١٣،٢٨١٤ ، ومن رواية سعيد المقبرى عنه .
ومن حديث أبى سعيد الخدرى برقم ٢٨١٥ ، كتاب الصيد ، باب الذباب يقع فى الشراب ، ١١/٢٥٩-٢٦١ .
وأخرج نحوه ابن الجارود فى المنتقى من رواية عبيد بن حنين عن أبى هريرة برقم ٥٥ ، باب فى طهارة الماء والقدر الذى ينجس ولاينجس ص٢٩ .
وذكر الهيثمى نحوه فى مجمع الزوائد من حديث أنس بن مالك . وقال : "رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبرانى فى الأوسط" . ٥/٤١ .

هـذا حديث ثابت عـن النبى صلى اللـه عليـه وسلم، وقـد تلقتـه الأمة بالقبول وآمنت بمضمون ماجاء فيه .

وهـو معجزة من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم الـذى لاينطق عن الهوى {إن هو إلا وحى يوحى}(١).

وقد طعن أهل البدع والضلال قديما فى صحته بحجـة أنه مخالف للعقل والـواقع ، وأثاروا الشبـه مـن حولـه فـانبرى للرد عليهـم وكشـف شبههـم ودحضهـا علماء أجلاء فواجهـوهم بالحجج الدامغة والأدلـة البينـة ، فأزالوا تلك الشبه وبينوا فسادها .

مـن أولئك العلماء الأفاضـل الإمام ابن قتيبة الـدينورى رحمه الله ، فقـد ذكـر فى كتـابه "تأويل مختلـف الحديث" أنه حديث صحيـح وأنه روى بألفاظ ، ثم قال :

"إن مـن حمـل أمـر الدين على مـاشاهد ، فجعـل البهيمـة لاتقـول ، والطـائر لايسبح ... والذباب لايعلم مـوضع السم ومـوضع الشفاء ، واعترض على مـاجاء فى الحديث ، مما لايفهمه ... فإنه منسلخ مـن الإسلام ، معطل ... مخالـف لما جاء به الرسول صلى اللـه عليه وسلم ، ولما درج عليـه الخيـار من صحابته والتابعون .

ومـن كذب ببعض ماجاء به رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، كـان كمـن كذب به كله ... وماعلمـت أحدا ينكر هذا إلا قـوما من الدهرية(٢)، وقد اتبعهم على ذلك قوم من أهل الكلام والجهمية"(٣).

ومن أولئك أيضا الإمام الطحاوى رحمه الله فى كتابه "مشكل الآثار" فقال بعد ذكره للحديث ومن رواه من الصحابة رضى الله عنهم :

---

(١) سورة النجم : آية ٤

(٢) قـال فى اللسان : "ورجل دهرى : ملحـد لايؤمن بالآخرة ، يقـول ببقـاء الدهر" . لسان العرب ٤/٢٩٣ .

(٣) ص٢٢٩ .

"قال قائل من أهل الجهل بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبوجوهها : وهل للذباب من اختيار حتى يقدم أحد جناحيه لمعنى فيه ويؤخر الآخر لمعنى فيه خلاف ذلك المعنى ؟

فكان جوابنا فى ذلك له بتوفيق الله عز وجل وعونه أنه لو قرأ كتاب الله عز وجل قراءة متفهم لما يقرأ منه لوجد فيه مايدل على صدق قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا وهو قوله عز وجل : {وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس}(١)وكان وحى الله إليها هو إلهامه إياها أن تفعل ماأمرها به ... فمثل ذلك الذباب ألهمه عز وجل ماألهمه مما يكون سبباً لإتيانه لما أراده منه من غمس أحد جناحيه فيمايقع فيه مما فيه الداء والتوقى بجناحه الآخر الذى فيه الشفاء"(٢).

وجاء المُحْدَثُون فطعنوا فى هذا الحديث كما طعن فيه أسلافهم أهل الابتداع من قبل ، ولم يتزجروا بردود العلماء السابقين ، فزادوا شبه أولئك شبهاً أخرى انتجتها عقولهم التى جهلت حرمة النصوص وران عليها ظلام قاتم فلم تستوعب ولم تع معانى تلك النصوص فسارعت إلى الإنكار والرد والطعن كما هو ديدنها ، ومنهجها بكل نص جهلت معناه .

---

(١) سورة النحل : الآيات ٦٨،٦٩

(٢) ٤/٢٨٣-٢٨٤ .

وهـذا ملخـص مـاسبق مـن عـرض لشبـه هـؤلاء المحْـدَثين حول هـذا الحديث :

(١) أخرجه البخـارى ، ولايمنعـه ذلك من التماس علة فى رجالـه تمنـع من صحته ، والعلة هى :

(أ) انفرد به ابن حنين . ثم طعن فيه بأوجه .

(ب) من رواية أبى هريرة وقد ردوا له أحاديث كثيرة .

(٢) إنه حديث آحاد يفيـد الظـن ، فلاإشكـال فى رده ، وهـو غـريب عن التشـريع لأنه ينافى قاعدة تحريم الضار ، واجتنـاب النجاسة ، وغريب عن الرأى لأنه يفرق بين جناحى الذباب ، فيدعـى أن أحدهما به سم ضار ، والآخر ترياق نافع .

(٣) أثبت العلم بطلانه ، لأن العلم يقطع بمضار الذباب .

(٤) موضوع متنه ليس من عقائد الإسلام ولامن عباداته ، ولامن شرائعه ، ولاالتزم المسلمـون العمل به ، بل لم يعمـل به أحد منهـم لأنه لادخل له فى التشريع ، وإنما هـو فى أمـر مـن أمـور الـدنيا كحـديث "تأبير النخل" ، وبالتالى من ارتاب فيه لم يضع من دينه شيئاً .

(٥) تصحيحـه مـن المطاعن التى تنفـر عن الإسلام ، وتكـون سبباً فى ردة بعض ضعفاء الإيمان ، ويفتح على الدين شبهة يستغلها أعداء الإسلام .

(٦) البحـث فيـه عقيم ، لايجب أن يشغـل النـاس به ، وقـد وصلـوا إلى مخترعـات ومكتشفـات من العلـوم . ولـذا يجب ترك البحـث فيـه إلى ماوصل إليه العلم من أحكام لاتنقض ولاترد .

ويجاب على هذه الشبه بما يلى :

(١) أولاً : لم ينفرد البخارى رحمه الله بإخراج هذا الحديث ، كما أن أبا هريرة لم ينفرد بروايته عـن النبى صلى اللـه عليـه وسلم ، وعبيـد بن حنين لم ينفرد بروايته عن أبى هريرة أيضاً .

فقد أخرجه البخارى وأبو داود وابن ماجه والدارمـى والبيهقى وابن خزيمة وأحمـد وابن حبـان والبغـوى وابن الجارود مـن حديث أبى هـريرة رضى الله عنه .

وأخرجه النسائى وابن ماجه والبيهقى وأحمد وابن حبان والبغوى من حديث أبى سعيد رضى الله عنه ، وأخرجه البزار والطبرانى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه .

ورواه عن أبى هريرة جماعة من التابعين(١).

ولو لم يرد هذا الحديث إلا فى صحيح البخارى ، لكان صحيحاً ، مقبولاً ، إذ البخارى هو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى وأحاديثه فى أعلى درجات الصحة .

ومن العجيب أن هذا الحديث لم يستدركه على البخارى أحد من أئمة الحديث ولم يقدح فى سنده أحد منهم ، بل هو عندهم مما جاء على شرط البخارى فى أعلى درجات الصحة(٢).

ولو تفرد به أبو هريرة رضى الله عنه لما وجدوا إلى الطعن فى صحته سبيلاً .

يقول الشيخ ناصر الدين الألبانى بعد إخراجه الحديث :

"فقد ثبت الحديث بهذه الأسانيد الصحيحة ، عن هؤلاء الصحابة الثلاثة : أبى هريرة وأبى سعيد وأنس ، ثبوتاً لامجال لرده ، ولاللتشكيك فيه كما ثبت صدق أبى هريرة رضى الله عنه فى روايته إياه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافاً لبعض غلاة الشيعة من المعاصرين ، ومن تبعهم من الزائغين ، حين طعنوا فيه رضى الله عنه لروايته إياه ، واتهموه بأنه يكذب فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاشاه من ذلك، فهذا هو التحقيق العلمى يثبت أنه برىء من كل ذلك ، وأن الطاعن فيه هو الحقيق بالطعن فيه ، لأنهم رموا صحابياً بالبهت ، وردوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لمجرد عدم انطباقه على عقولهم المريضة !

---

(١) وهم : عبيد بن حنين وسعيد المقبرى وثمامة بن عبد الله بن أنس وأبو صالح ومحمد بن سيرين .

(٢) انظر : مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٢٤/١٢ الهامش ، دفاع عن السنة ص٢٠٠ .

وقد رواه عنه جماعة من الصحابة كما علمت ، وليت شعرى هل علم هؤلاء بعدم تفرد أبى هريرة بالحديث ، وهو حجة لو تفرد ، أم جهلوا ذلك فإن كان الأول فلماذا يتعللون برواية أبى هريرة إياه ، ويوهمون الناس أنه لم يتابعه أحد من الأصحاب الكرام ؟ وإن كان الآخر فهلا سألوا أهل الاختصاص والعلم بالحديث الشريف ؟ وماأحسن ماقيل :

فإن كنت لاتدرى فتلك مصيبة وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم"(١)

وعبيد بن حنين(٢)ثقة لامطعن فيه ، ولم يذكره الحافظ فيمن تكلم فيهم من رجال البخارى فى مقدمته ، ولم أقف على من طعن فى توثيقه من العلماء. ولعمرى لو تفرد برواية الحديث عن أبى هريرة لقبل تفرده ، فإن تفرد مثله لايقدح فى صحة الحديث .

قال ابن الصلاح رحمه الله :

"إذا انفرد الراوى بشىء نظر فيه فإن كان ماانفرد به مخالفاً لما رواه من هو أولى منه بالحفظ لذلك وأضبط كان ماانفرد به شاذاً مردوداً ، وإن لم تكن فيه مخالفة لما رواه غيره وإنما أمر رواه هو لم يروه غيره فينظر فى هذا الراوى المنفرد فإن كان عدلاً حافظاً موثوقاً بإتقانه وضبطه قبل ماانفرد به ولم يقدح الانفراد فيه ... وإن لم يكن ممن يوثق بحفظه وإتقانه لذلك الذى انفرد به كان انفراده خارماً له مزحزحاً له عن حيز الصحيح"(٣).

ولو رد الحديث الصحيح بتفرد الراوى الثقة له لرد كثير من الأحاديث ، وتعطلت كثير من المسائل عن دلائلها(٤).

(٢) كونه حديث آحاد ومن أجل ذلك سهل رده ، قول مردود ، وحجة داحضة ، وقد سبق الكلام عن ذلك فلاإعادة ههنا .

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ٦٠/١ .

(٢) عبيد بن حنين سبقت ترجمته . انظر : ص ٦٩٠

(٣) مقدمة ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح ص١٠٤ .

(٤) انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص٥٥ .
وانظر : تدريب الراوى ٢٣٤/١ .

وقول رشيد رضا بأنه غريب عن التشريع لأنه ينافى قاعدة تحريم الضار ، واجتناب النجاسة ، يرد عليه : بأن الحديث لم ينف ضرر الذباب بل أثبت ذلك ، فذكر أن فى أحد جناحيه داء ، ولكنه زاد ببيان أن فى الآخر شفاء ، وأن ذلك الضرر يزول إذا غمس الذباب كله(١).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

"واعلم أن فى الذباب عندهم قوة سمية يدل عليها الورم ، والحكة العارضة عن لسعه ، وهى بمنزلة السلاح ، فإذا سقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله سبحانه فى جناحه الآخر من الشفاء ، فيغمس كله فى الماء والطعام فيقابل المادة السمية المادة النافعة ، فيزول ضررها ، وهذا طب لايهتدى إليه كبار الأطباء وأئمتهم ، بل هو خارج من مشكاة النبوة ، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج ، ويقر لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق ، وأنه مؤيد بوحى إلهى خارج عن القوة البشرية"(٢).

وقال الشوكانى رحمه الله :

"والفائدة فى الأمر بغمسه جميعاً هى أن يتصل مافيه من الدواء بالطعام أو الشراب كما اتصل به الداء ، فيتعادل الضار والنافع فيندفع الضرر"(٣).

والقول بنجاسة الذباب لادليل عليه لأنه لاملازمة بين الضرر والنجاسة ولذا كان هذا الحديث من أدلة العلماء على أن الماء القليل لاينجس بموت مالانفس له سائلة فيه ، إذ لم يفصل الحديث بين موت الذباب وحياته عند غمسه(٤).

---

(١) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ٦١/١ .

(٢) زاد المعاد ١١٢/٤ .

(٣) نيل الأوطار ٧١/١ .

(٤) انظر : فتح البارى ٢٥١/١٠ ، نيل الأوطار ٧١/١ .

قال الخطابى رحمه الله :

"فيه من الفقه : أن أجسام الحيوان طاهرة ، إلا مادلت عليه السنة من الكلب ومالحق به فى معناه .

وفيه دليل : على أن مالانفس له سائلة إذا مات فى الماء القليل لم ينجسه . وذلك أن غمس الذباب فى الإناء قد يأتى عليه ، فلو كان نجسه إذا مات فيه لم يأمره بذلك . لما فيه من تنجس الطعام ، وتضيع المال ، وهذا قول عامة العلماء"(١).

وقال ابن القيم رحمه الله :

"هذا الحديث فيه أمران : أمر فقهى ، وأمر طبى ، فأما الفقهى ، فهو دليل ظاهر الدلالة جداً على أن الذباب إذا مات فى ماء أو مائع، فإنه لاينجسه ، وهذا قول جمهور العلماء ، ولايعرف فى السلف مخالف فى ذلك . ووجه الاستدلال به أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بمقله ، وهو غمسه فى الطعام ، ومعلوم أنه يموت من ذلك ، ولاسيما إذا كان الطعام حاراً ، فلو كان ينجسه لكان أمراً بإفساد الطعام ، وهو صلى الله عليه وسلم إنما أمر بإصلاحه ، ثم عدى هذا الحكم إلى كل مالانفس له سائلة ، كالنحلة والزنبور ، والعنكبوت وأشباه ذلك ، إذ الحكم يعم بعموم علته ، وينتفى لانتفاء سببه ، فلما كان سبب التنجس هو الدم المحتقن فى الحيوان بموته ، وكان ذلك مفقوداً فيما لادم له سائل انتفى الحكم بالتنجس لانتفاء علته"(٢).

والقول بأنه لافرق بين جناحى الذباب بأن يحمل أحدهما سماً والآخر شفاء قول يناهض الحديث ، بل ويخالف الواقع من اجتماع كثير من المتضادات فى الجسم الواحد كما هو مشاهد معروف .

---

(١) معالم السنن للخطابى مع مختصر سنن أبى داود للمنذرى وتهذيب ابن القيم ٣٤٠/٥-٣٤١ .

(٢) زاد المعاد ١١١/٤-١١٢ .

ومقله : أى غمسه فى الماء ونحوه . انظر : النهاية ٣٤٧/٤ .

والأمر الطبى سبق إيراده قريباً .

وانظر : شرح السنة للبغوى ٢٦٠/١١ .

وقد أجاب عن ذلك العلماء فى السابق ، ولاأدرى أجهل ذلك الشيخ رشيد رضا ـ مع سعة اطلاعه ـ أم تجاهله ؟ وكلا الأمرين ذميم فى حقه ، وقد ذكر ذلك معاصروه(١).

قال الخطابى :

"وقد تكلم فى هذا الحديث بعض من لاخلاق له . وقال : كيف يكون هذا ؟ وكيف يجتمع الداء والشفاء فى جناحى الذباب ؟ وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدم جناح الداء ، وتؤخر جناح الشفاء ، ومأأربها إلى ذلك ؟

قلت : وهذا سؤال جاهل ، أو متجاهل . وإن الذى يجد نفسه ونفوس عامة الحيوان قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة ، وهى أشياء متضادة ، إذا تلاقت تفاسدت ، ثم يرى أن الله سبحانه قد ألف بينها ، وقهرها على الاجتماع ، وجعل منها قوى الحيوان التى بها بقاؤها وصلاحها : بجدير أن لاينكر اجتماع الداء والشفاء فى جزأين من حيوان واحد ، وأن الذى ألهم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة وأن تعسل فيه ، وألهم الذرة أن تكتسب قوتها وتدخره لأوان حاجتها إليه هو الذى خلق الذبابة ، وجعل لها الهداية أن تقدم جناحاً وتؤخر جناحاً ، لما أراد من الابتلاء الذى هو مدرجة التعبد والامتحان الذى هو مضمار التكليف . وفى كل شىء عبرة وحكمة . ومايذكر إلا أولوا الألباب"(٢).

وقال ابن قتيبة رحمه الله :

"فما ينكر من أن يكون فى الذباب سم وشفاء ، إذا نحن تركنا طريق الديانة ، ورجعنا إلى الفلسفة ؟

وهل الذباب فى ذلك إلا بمنزلة الحية ؟ فإن الأطباء يذكرون أن لحمها شفاء من سمها ، إذا عمل منه الترياق الأكبر ، ونافع من لدغ العقارب

---

(١) انظر : مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٢٨/١٢ فى الهامش ، دفاع عن السنة ص٢٠٠ .

(٢) معالم السنن مع مختصر سنن أبى داود للمنذرى وتهذيب ابن القيم ٣٤١/٥-٣٤٢ . وأربها ـ وتكسر الهمزة ـ أى حاجتها لذلك .
انظر : القاموس المحيط ص٧٥١ ، النهاية ٣٥/١ .

وعض الكلاب الكلبة ... الخ .

وكذلك قالوا فى العقرب : إنها إذا شق بطنها ، ثم شدت على موضع اللسعة نفعت ...

والأطباء القدماء ، يزعمون أن الذباب إذا ألقى فى الإثمد ، وسحق معه ، ثم اكتحل به زاد ذلك فى نور البصر ، وشد مراكز الشعر من الأجفان ، فى حافات الجفون ... وقالوا فى الذباب : إذا شدخ ، ووضع على موضع لسعة العقرب ، سكن الوجع .

وقالوا : من عضه الكلب ، احتاج إلى أن يستر وجهه من سقوط الذباب عليه ، لئلا يقتله .

وهذا يدل على طبيعة فيه شفاء أو سم"(١).

(٣) والقول بأن العلم يثبت بطلانه لأنه يقطع بمضار الذباب ، قول من جهل معنى الحديث ، وعجز عن فهمه .

والحديث كما أسلفت لم ينف ضرر الذباب بل نص على ذلك صراحة .

وهل علماء الطب وغيرهم أحاطوا بكل شىء علما ، حتى يصبح قولهم هو الفصل الذى لايجوز مخالفته . بل هم معترفون كل الاعتراف بأنهم عاجزون عن الإحاطة بكثير من الأمور(٢).

وهنالك نظريات كانت تؤخذ على وجه التسليم تبين فسادها فيما بعد ، إذ علومهم خاضعة للتجارب والاختبارات .

بينما الذى نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحى من عند الله تعالى ، العليم بخفاء ماغاب عن الخلق جميعا .

ولازال علماء الطب يطلون على العالم فى كل يوم باكتشافات جديدة لعقاقير طبية وأدوية واقية لم تكن عرفت من قبل .

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص٢٣٠-٢٣١ .
قال ابن الأثير : "الكلب بالتحريك : داء يعرض للإنسان من عض الكلب الكلب فيصيبه شبه الجنون ، فلايعض أحدا إلا كلب ، وتعرض له أعراض رديئة ، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشا" . النهاية ١٩٥/٤ . وانظر : لسان العرب ٧٢٣/١ ، الصحاح ٢١٤/١ مادة (كلب) .

(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص٢٢١ .

فلماذا لايكون مايحمله الذباب على جناحه من شفاء مما خفى علمه عن الأطباء حتى اليوم ؟

إذ عدم العلم بالشيء لايستلزم العلم بعدمه .

ثم هل يتوقف إيماننا بصدق كل حديث ورد فيه أمر طبى عن النبى صلى الله عليه وسلم حتى يكشف لنا الأطباء بتجاربهم صدقه أو بطلانه ؟ وأين إيماننا إذن بصدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووحى الله إليه ؟

إن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم برهان قائم بنفسه لايحتاج إلى دعم خارج عنه ، فعلى الأطباء بل والناس جميعاً التسليم بما جاء فى هذا الحديث والتصديق به إن كانوا مسلمين ، وإن لم يكونوا كذلك فيلزمهم التوقف إن كانوا عقلاء . والمسلم لايهمه كثيراً ثبوت الحديث من وجهة نظر الطب مادام ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

هذا كله يقال على فرض أن الطب الحديث لم يشهد لهذا الحديث بالصحة .

ومع ذلك فقد وجد من الأطباء المعاصرين من أيد مضمون ماجاء فى هذا الحديث من الناحية الطبية ، وهنالك كثير من البحوث والمقالات فى هذا الجانب ، منها المطول ومنها المختصر .

أختار من بينها ماذكره أحدهم فى محاضرة بجمعية الهداية الإسلامية بمصر حيث قال :

"يقع الذباب على المواد القذرة المملوءة بالجراثيم التى تنشأ منها الأمراض المختلفة ، فينقل بعضها بأطرافه ، ويأكل بعضاً ، فيتكون فى جسمه من ذلك مادة سامة يسميها علماء الطب بـ"مبعد البكتريا" وهى تقتل كثيراً من جراثيم الأمراض ، ولايمكن لتلك الجراثيم أن تبقى حية أو يكون لها تأثير فى جسم الإنسان فى حال وجود مبعد البكتريا . وأن هناك خاصية فى أحد جناحى الذباب ، هى أنه يحول البكتريا إلى ناحيته ، وعلى هذا فإذا

---

(١) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ٦١/١ .

سقط الذباب فى شراب أو طعام وألقى الجراثيم العالقة بأطرافه فى ذلك الشراب ، فإن أقرب مبيد لتلك الجراثيم وأول واق منها هو مبعد البكتريا الذى يحمله الذباب فى جوفه قريباً من أحد جناحيه . فإذا كان هناك داء فدواؤه قريب منه ، وغمس الذباب كله وطرحه كاف لقتل الجراثيم التى كانت عالقة ، وكاف فى ابطال عملها"(١).

فالعلم الحديث يؤيد ماجاء فى الحديث ويعضده ، فهل بقى للمتشبثين بذلك من حجة يحتجون بها ؟ اللهم إلا الهوى .

(٤) الزعم بأن موضوعه ليس من عقائد الإسلام ولامن عباداته ... الخ .

زعم قصد ماوراءه ، من تحقير للحديث وتهوين لأمره ، وتنفير الناس عنه ، وهى دعوى تردد وتكرر كلما عجزوا عن إقامة الدليل على عدم صحة حديث ما ، ولذلك يكثرون من ذكر هذه العبارات التى لاتدل إلا على تنصل صاحبها من اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعمل بها.

والإسلام دين كامل ، بعقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه ، لايحقر جزء من جزئياته ، ولافرع من فروعه ، ولايستهان به . وقد أمر الله المؤمنين بالتمسك بكل شعب الإيمان وشرائع الإسلام من غير تفريط فى جانب منها مع القدرة على ذلك .

قال تعالى : {ياأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين}(٢).

قال ابن كثير رحمه الله فى معنى هذه الآية :

"يقول الله تعالى آمراً عباده المؤمنين المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره مااستطاعوا من ذلك"(٣).

---

(١) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ٥٥/٤ الهامش ، دفاع عن السنة ص٢٠٠-٢٠١ سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ٦١/١ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٠٨

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٤٧/١ .

والقول بأنه لم يعمل به أحد من المسلمين ، قول عار عن الصحة ، ودعوى جريئة جاء الحق بخلافها .

روى عبد الله بن المثنى عن عمه ثمامة أنه حدثه قال : "كنا عند أنس ، فوقع ذباب فى إناء فقال أنس بأصبعه فغمسه فى ذلك الإناء ثلاثا ثم قال : بسم الله . وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يفعلوا ذلك"(١).

---

(١) ذكره الحافظ فى الفتح .
ثم قال :
"ورجاله ثقات ، ورواه حماد بن سلمة عن ثمامة فقال : "عن أبى هريرة"ورجحها أبو حاتم ، وأما الدارقطنى فقال : "الطريقان محتملان" . فتح البارى ١٠/٢٥٠-٢٥١
وقوله : قال أنس : يراد به الفعل . لأن العرب تجعل القول عبارة لجميع الأفعال وتطلقه على غير اللسان والكلام فتقول : قال بيده : أى أخذ . وقال برجله : أى مشى ... الخ .
انظر : النهاية ٤/١٢٤ ، القاموس المحيط ص١٣٥٨ .
وعبد الله بن المثنى هو ابن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصارى ، أبو المثنى البصرى ، روى عن عمومته والحسن وعنه ابنه محمد ومسدد وعبد الواحد بن قياس .
قال ابن معين وأبو زرعة : صالح . وقال الحافظ ابن حجر : صدوق كثير الغلط .
انظر : الجرح والتعديل ٥/١٧٧ ، الكاشف ٢/١٢٣ ، تقريب التهذيب ١/٤٤٥ .
وعمه ثمامة هو ابن عبد الله بن أنس بن مالك ، الأنصارى ، البصرى ، قاضيها .
روى عن جده والبراء وعن أبى هريرة مرسلا . وعنه عبد الله بن المثنى ومعمر .
قال أبو حاتم والذهبى : ثقة . وقال الحافظ ابن حجر : صدوق .
انظر : الجرح والتعديل ٢/٤٦٦ ، الكاشف ١/١٧٤ ، تقريب التهذيب ١/١٢٠ .

وروى أحمد من طريق سعيد بن خالد قال : "دخلت على أبى سلمة فأتانا بزبد وكتلة فأسقط ذباب فى الطعام ، فجعل أبو سلمة يمقله بأصبعه فيه فقلت : ياخال ! ماتصنع ؟ فقال : إن أبا سعيد الخدرى حدثنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أحد جناحى الذباب سم والآخر شفاء ، فإذا وقع فى الطعام ، فأمقلوه ، فإنه يقدم السم ، ويؤخر الشفاء"(١).

فأنس صحابى ، وأبو سلمة تابعى ، وقد عملا بمضمون هذا الحديث ، فكيف يزعم بأن أحداً من المسلمين لم يعمل به ؟

هذ دعوى وغيرها الكثير يطلقها أولئك القوم من غير علم ولاتحقيق ليخضعوا بها السذج من الناس ، ويحدث من جرائها شر وفساد عريض .

والقول بأنه لادخل له فى التشريع وأنه من أمور الدنيا قول يحتاج إلى مايدل عليه ، فالحديث فيه أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو تكليف على العباد بفعل ذلك ، ولم يأت مايخالفه ، وثبت العمل به ، فما الذى يحظر دخوله تحت أمور التشريع ؟

---

(١) مسند أحمد ٦٧/٣ .
وأخرج البيهقى فى سننه نحوه ، كتاب الطهارة ، باب مالانفس له سائلة إذا مات فى الماء القليل ٢٥٣/١ .
قال الشيخ ناصر الدين الألبانى (عن إسناد أحمد) :
"وهذا سند صحيح رجاله ثقات ـ رجال الشيخين غير سعيد بن خالد وهو القارظى وهو صدوق كما قال الذهبى والعسقلانى" .
سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ٦٠/١ .
والكتلة : هى ماجمع من التمر والطين واللحم وغير ذلك.
انظر : القاموس المحيط ص١٣٥٩ . وانظر: النهاية ١٥٠/٤ .
وسعيد بن خالد : هو ابن عبد الله بن قارظ ، الكنانى ، المدنى ، حليف بنى زهرة روى عن ربيعة بن عباد وابن المسيب ، وعنه ابن أبى ذئب وابن إسحق . صدوق انظر : الكاشف ٣٥٨/١ ، تهذيب التهذيب ٢٠/٤ ، تقريب التهذيب ٢٩٤/١ .
وأبو سلمة : هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، المدنى ، قيل اسمه عبد الله ، وقيل : إسماعيل . أحد الأئمة الثقات المكثرين . روى عن أبيه وعائشة وأبى هريرة ، وعنه ابنه عمر والزهرى ومحمد بن عمرو . مات سنة ٩٤هـ .
انظر : الكاشف ٣٤٢/٣ ، تهذيب التهذيب ١١٥/١٢ ، تقريب التهذيب ٤٣٠/٢ .

والزعم بأن الأمور الدنيوية من الآراء المحضة ، وجعل ذلك قاعدة عامة ، لايصح ، لأن أمور الدنيا منها ماهو خاضع لأحكام الشرع . فهى داخلة تحت الأمر بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنهى عن مخالفته وأمره صلى الله عليه وسلم قد يكون واجباً وقد يكون مستحباً (١) .

وقياس حديث الذباب بحديث تأبير النخل غير صحيح ، وبيان ذلك :

روى مسلم من حديث طلحة بن عبيد الله قال : مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم على رؤوس النخل . فقال : " مايصنع هؤلاء؟" فقالوا : يلقحونه . يجعلون الذكر فى الأنثى فيتلقح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ماأظن يغنى ذلك شيئاً " . قال : فأخبروا بذلك فتركوه . فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : " إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه . فإنى إنما ظننت ظناً . فلاتؤاخذونى بالظن . ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً ، فخذوا به ، فإنى لن أكذب على الله عز وجل " (٢)

وفى حديث رافع بن خديج ، قال صلى الله عليه وسلم : " إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به . وإذا أمرتكم بشىء من رأى فإنما أنا بشر " . قال عكرمة : " أو نحو هذا " (٣).

وفى حديث عاشئة وأنس رضى الله عنهما ، قال صلى الله عليه وسلم "أنتم أعلم بأمر دنياكم "(٤) .

---

(١) انظر : الأنوار الكاشفة ص ٢٨ .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، رقم ٤٣ ، باب وجوب امتثال ماقاله شرعاً دون ماذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأى ، رقم ٣٨، حديث رقم ٢٣٦١، ٤/١٨٣٥ .
(٣) صحيح مسلم ، الكتاب والباب السابقان ، حديث رقم ٢٣٦٢، ٤/١٨٣٥-١٨٣٦.
(٤) صحيح مسلم ، الكتاب والباب السابقان ، حديث رقم ٢٣٦٣، ٤/١٨٣٦ .

قال النووى رحمه الله :

"قال العلماء : قوله صلى الله عليه وسلم "من رأى" : أى فى أمر الدنيا ومعايشها لاعلى التشريع ، فأما ماقاله باجتهاده صلى الله عليه وسلم ورآه شرعاً يجب العمل به . وليس أبار النخل من هذا النوع بل من النوع المذكور قبله ، مع أن لفظة "الرأى" إنما أتى بها عكرمة على المعنى لقوله فى آخر الحديث : قال عكرمة : "أو نحو هذا" فلم يخبر بلفظ النبى صلى الله عليه وسلم محققاً . قال العلماء : ولم يكن هذا القول خبراً وإنما كان ظناً كما بينه فى هذه الروايات . قالوا : ورأيه صلى الله عليه وسلم فى أمور المعايش وظنه كغيره فلايمتنع وقوع مثل هذا ولانقص فى ذلك،وسببه تعلق هممهم بالآخرة ومعارفها"(١).

فما وقع فى حديث التأبير كان ظناً منه صلى الله عليه وسلم ، وهو صادق فى ظنه ، وخطأ الظن ليس كذباً ، ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "فإنى لن أكذب على الله" ، وفى ذلك دليل على امتناع أن يكذب على الله خطأ ، لأن السياق فى احتمال الخطأ(٢).

وقد رجع عن ظنه الذى ظنه فى حديث تأبير النخل وذلك فى قوله : "إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه" .

وهذا بخلاف ماجاء فى حديث الذباب ، فإنه أخبر بأن فى أحد جناحيه داء والآخر شفاء وهذا لايكون إلا بوحى من الله تعالى ، وهو أمر لايحتمل خلاف ماأخبر به ، ثم أمر بغمس الذباب ، وهذا حكم بنى على العلة السابقة ، ثم لم يأت ماينقض هذا الأمر ولاذاك الخبر فوجب التسليم والإذعان ، وعدم الرد والإنكار .

---

(١) شرح النووى على مسلم ١١٦/٥ .

(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص٢٩ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

"وهو لم ينههم عن التلقيح لكن هم غلطوا فى ظنهم أنه نهاهم ، كما غلط من غلط فى ظنه أن (الخيط الأبيض) و(الخيط الأسود) هو الحبل الأبيض والأسود" .

الفتاوى ١٢/١٨ .

(٥) والقول بأن تصحيحه من المطاعن التى تنفر عن الإسلام ... الخ ماذكروا .

قول ساقط يحمل بين طياته استدراكاً على النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان أحرص الناس على دين الله عز وجل ، وأنصح الخلق إلى الخلق ، وأكثر العباد خشية وتقوى صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى حمى جناب الإسلام وسد كل منافذ الطعن والقدح فيه ، وهو أعلم الناس بذلك ، وأحرص على هدايتهم وإبلاغهم دين الله عز وجل .

وليس فى شريعة الله تعالى ماينفر إذ هى شريعة تقبلها القلوب السليمة وتقتنع بها العقول الصحيحة والتنفير لايكون فيها وإنما يكون فى الحاملين لها القائمين بأمرها .

ففى حديث أبى موسى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحداً من أصحابه فى بعض أمره قال : "بشروا ولاتنفروا . ويسروا ولاتعسروا"(١).

ولذلك كان يغضب صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً إذا فعل أحد أصحابه ماينفر .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير (٣٢) ، باب فى الأمر بالتيسير وترك التنفير (٣) ، برقم ١٧٣٢ ، ٣/١٣٥٨ .
وفى الصحيحين من حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "يسروا ولاتعسروا وبشروا ولاتنفروا" هذا لفظ البخارى . ورواية مسلم "سكنوا" بدلا من "بشروا" .
صحيح البخارى ، كتاب العلم(٣) ، باب ماكان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة (١١) ، ١/٢٥ .
صحيح مسلم ، فى الكتاب والباب والجزء السابق ، برقم ١٧٣٤ ، ص١٣٥٩ .
وفيهما من حديث أبى موسى عندما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذاً إلى اليمن قال : "يسرا ولاتعسرا وبشرا ولاتنفرا ، وتطاوعا ولاتختلفا" .
صحيح البخارى ، كتاب الجهاد والسير (٥٦) ، باب مايكره من التنازع والاختلاف فى الحرب (١٦٤) ، ٤/٢٦ .
صحيح مسلم ، الكتاب والباب والجزء والصفحة السابقة ، برقم ١٧٣٣ .

من ذلك ماجاء فى حديث أبى مسعود الأنصارى ، قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان ، مما يطيل بنا. فما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم غضب فى موعظة قط أشد مما غضب يومئذ . فقال : "ياأيها الناس إن منكم منفرين . فأيكم أم الناس فليوجز . فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة"(١).

هذه حاله صلى الله عليه وسلم إذا حدث من أصحابه ماينفر ، فهل يعقل أن تكون أقواله التى نطق بها ، وأفعاله التى فعلها منفرة للناس ؟

وأين موضع التنفير فى هذا الحديث ؟ ألأنه أثبت أن فى جناح الذباب شفاء ؟ أيكون هذا تنفيراً ؟ ياخفة العقول ! وأين هذه الشبهة التى يفتحها على الدين حتى يستغلها أعداء الإسلام ؟

وهل وقف أعداء الإسلام فيما يثيرونه من شبه عند حديث الذباب وحده ؟ بل قد أثاروا شبهاً لاحصر لها فى أمور لاتخفى على أحد ، بل حتى القرآن الذى نقل بالتواتر جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر هل سلم وسلمت أحكامه من شبه أعداء الإسلام ؟

وهل إذا رددنا حديث الذباب بل ورددنا السنة كلها ، يكف ذلك عنا شبههم ؟ ويستجيبون بعد ذلك لديننا ويلتزمون بشريعتنا ؟

بل لو تتبعنا شبههم ـ قاتلهم الله ـ ورددنا كل أمر اشتبهوا فيه مابقى لنا من ديننا مانتمسك به .

ولماذا هذه المجاملة ، وهذا التنازل لأعداء الإسلام على حساب ديننا ؟ ومالذى يضرنا من شبههم ونحن موقنون بأن ماجاءنا به رسول الله صلى

---

(١) أخرج البخارى نحوه فى صحيحه ، فى كتاب العلم (٣) ، باب الغضب فى الموعظة والتعليم (٢٨) ، ٣١/١ ، وكتاب الأذان (١٠) ، باب تخفيف الإمام فى القيام (٦١) وباب من شكا إمامه إذا طول (٦٣) ، ١٧٢/١-١٧٣ ، وكتاب الأدب (٧٨) ، باب مايجوز من الغضب والشدة لأمر الله عز وجل (٧٥) ، ٩٨/٧ ، وكتاب الأحكام (٩٣) ، باب هل يقضى الحاكم أو يفتى وهو غضبان (١٣) ، ١٠٩/٨ . وأخرجه مسلم فى صحيحه واللفظ له ، فى كتاب الصلاة (٤) ، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة فى تمام (٣٧) ، برقم ٤٦٦ ، ٣٤٠/١ .

الله عليه وسلم هو الحق الذى لامرية فيه ، ومايقذف به أعداء الإسلام شبه باطلة داحضة لاقيمة لها من الصحة .

وهل بعد ظهور مايؤيد صدق الحديث من الناحية الطبية ، تظل شبههم عالقة به ؟

وماموقف رشيد رضا وأبى رية ومن على شاكلتهم حينئذ ؟ ألا يصبح رد هذا الحديث والطعن فيه شبهة يستغلها أعداء الإسلام ؟ لأن الطعن فيه حينئذ يكون طعناً فيما ثبت بالعلم الحديث .

(٦) القول بأن البحث فيه عقيم ... الخ .

قول من جهل مقام النصوص وضعف احترامه لها إن لم يكن قد عدم تماماً .

إن مابذله بعض الأطباء الأفاضل من جهود حول تأييد هذا الحديث من الناحية الطبية ، يجب أن يشكروا عليه ولايذموا بما قدموا ، إذ كانوا يهدفون من وراء ذلك دفع الشبه التى ألصقت بهذا الحديث ، وبيان أن العلم الحديث لاينافيه .

والحقيقة إن هذه البحوث وإن كانت تزيد الإنسان إيماناً بصدق الحديث ، إلا أن الإيمان به لايتوقف عليها ، إذ الحديث حجة قائمة بنفسه .

ويكفى فى فضل هذه البحوث أنها نقضت مازعمه أبو رية من وجوب ترك البحث فى هذا الحديث إلى ماوصل إليه العلم بأبحاثه الدقيقة وتجاربه الصحيحة التى لايمكن نقضها ولايرد حكمها .

والذى يعجب منه الإنسان أن نظريات الغرب المتناقضة المختلفة التى لاتستقر على حال ، تصبح عند هؤلاء أحكاماً مسلمة لاتنقض ولاترد ، وحديث النبى صلى الله عليه وسلم الصادق الذى لاينطق عن الهوى يطعن فيه ويرد بغير حجة ولادليل .

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر :

"والحق أنه لم يعجبهم هذا الحديث ، لما وقر فى نفوسهم من أنه ينافى المكتشفات الحديثة ، من المكروبات ونحوها ، وعصمهم إيمانهم عن أن يجرؤوا على المقام الأسمى ، فاستضعفوا أبا هريرة .

والحق أيضا أنهم آمنوا بهذه المكتشفات الحديثة أكثر من إيمانهم بالغيب ، ولكنهم لايصرحون ! ثم اختطوا لأنفسهم خطة عجيبة : أن يقدموها على كل شيء ، وأن يؤولوا القرآن بما يخرجه عن معنى الكلام العربى ، إذا ماخالف مايسمونه "الحقائق العلمية" وأن يردوا من السنة الصحيحة مايظنون أنه يخالف حقائقهم هذه ! افتراء على الله ، وحباً فى التجديد"(١).

---

(١) مسند أحمد ، بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٢٥/١٢ . الهامش .